أدب وسيرة من خلال أحاديث للشيخ الياس خليل زخريا

الفصل الثالث من رسالة ماجستير
اعدها : البير بوعيسى

* * *

مجلة الاديب

صدر العدد الاول لمجلة « الاديب » بتاريخ ١-١-١٩٤٢ . اسسها البير اديب ، واخذ اسمها من اسمه . وهي تبحث في الاداب والعلوم والفنون والسياسة والاجتماع . وتكونت اسرتها من سبعة أفراد ، وكنت واحدا منهم :

البير اديب

البير اديب ، من ابناء عائلة « نعمة » في دير القمر ، ولد في المكسيك عام ١٩٠٨ ونشأ وشب في مصر وبدأ الكتابة في صحفها ومجلاتها . ثم جاء مصطافا الى لبنان ، فتعرفت اليه في بعض الحلقات الادبية ، ثم في « المعرض » وفي « الجمهور » وفي « النداء القومي » وفي « النداء » وفي غيرها من الصحف والمجلات ، واكثر ما عرفته في مجالس الشيخ ابراهيم المنذر في « المحيدثة » ، لكن علاقاتنا بقيت غير وثيقة الى حين قرر ميشال ابو شهلا اصدار «الجمهور» وكنت انا في حيرة من أمري ، وصدر العدد الاول ففوجئت لما قرات أنني سكرتير التحرير فأخبرني رافت بحيري عن الاتفاق والخلاف بين صاحب « الجمهور » والبير اديب . ومنذ ذلك الحين توطدت بيننا صداقة عميقة وود والفة تطورت الى اخوة ليل ، وسهر ، وادب ، وشعر ، وتعاون ، واتفاق في الفكرة ، وتقارب في المشاكل .

كان البير اديب صاحب المجلة ومنشئها ، ينظم ، يقرر ، ينسق ، يؤنق ، ويفتح باب الصفحات على سواد الحروف . سلطان في مجلته وهو المتون والهوامش وعنوان العناوين ونقطة البداية في نقطة النهاية . نطرب من لهجته المصرية السودانية الديرانية ، ونحب طربوشه الاحمر كالقرميد من الدير الشوفي في قلب الجبل القديم . لاذنه اناقة النغم ، ولعينيه دقة التأمل ، ولنفسه رقة السخاء ولرايه مقومات الراي ، وشجاعة الاقناع وجراة التصدي. نظم شعرا غنيا في الوزن المطلق بلا قيد القافية او الوزن ولم يهرب من اطار اللحن في تناسق الوتر .

علمني البير اديب الصبر والتجلد والمثابرة وكيف يمكن للانسان ان يكون له صنعته نفسه هو في نفسه ، وحده اسرة ، عالم في ذاته . وعلمني كيف يترفع الانسان عن المادة ويعاني الحرمان والفقر في سبيل الحرية والحقيقة وحب العطاء .

٢ ـ عبد الله العلايلي (١٩١٤) :

كان عبد الله العلايلي شيخ المشايخ في جبته العجمية ولفته الازهرية ، ضابط الضوابط على الابداع وسليقة النقد وروح العفوية ونزوة القيادة ، يكتب في القومية والدين والمجتمع ، وقليل من الشعر ، ولمحات في محاسبة الذات .

لقد علمني التوسع في الاجتهاد . رايه ان اللغويين قد ضيقوا التنفس والابداع في اللغة العربية ، علينا بالنظر فيها وباشتقاقاتها بلا خوف ، نأخذ الكلمة ونسكبها نحن حتى ولو كانت عامية شرط تضمنها الرنة الموسيقية ووضوح المعنى . علمني قراءة المعجم وكتب اللغة شرط عدم التحجر كعلمائها والتمتع بتفتح الذهن على اشراق اللفظ . كان يقول ان اللغة العربية هي نتيجة انصهار حضارات وعصارة لغات .

وقد تآخى قلمي وقلمه ، فكتبنا المقالات بالتوقيع معا ، عبارة منه وعبارة مني حتى تكتمل الصورة .

٣ ـ نقولا فياض (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨) :

كان نقولا فياض شاعرا ، وكاتبا ، وطبيبا ، وخطيبا، يطل علينا بجبهته البيروتية الارستقراطية القادمة من جبل الاشرفية ، يجلس فتتبسط ايامه اللبنانية في ذكرياته المصرية ، على امجاد روسيا الارثوذكسية وقد اصبح فيما بعد رئيس جمعية الصداقة اللبنانية السوفياتية ، يحدث بهدوء وفرح وزهو واتزان ورصانة . في اطراف شيخوخته تغير به الزمن فحالت يمينه على يساره وحدا حدوه في ثلج الشمال على ستائر المجهول المنتظر . وقد كتبت عنه نثرا وشعرا في كتابي « ثمالات في الموت » وفي ديواني « وطن ».

٤ ـ نور الدين بيهم (ت ١٩٥٧) :

كان نور الدين بيهم الوكة مخطوطة من اوراق التاريخ في المكتبة الوطنية اللبنانية ، يكتب بسهولة اسلوبه وعبارته كتابة المتمهل المتراصن من ذاكرته وتحقيقاته روايات القدماء ولا سيما الاسر البيروتية والامراء والملوك والزعامات الهاربة من زحمة المتقدمين . يعظ ويبحث لكنه لم يكن بالواعظ المرشد ولا بالباحث البحاثة . كان يرى الدنيا في هذه المسافة بين المكتبة الوطنية وجبل النار (البسطا) وباب ادريس .

ولعل خير ما اذكر هو ان نور الدين لم يدخل مرة

مجلس اسرة الاديب الا وقد تأبط خيرا ، اديبة جديدة حلبية او دمشقية او بغدادية او مخطوطة جديدة أو كتابا جديدا في التاريخ او خبرا من اخبار هوامش التاريخ في بيروت . كان جسرا بيننا وبين الزعماء السياسيين ولا سيما زعماء العاصمة .

وله فضل علي انه انزلني في حلبة السياسة العليا فقدمني الى الزعيم اللبناني عمر بيهم الذي كان بيته مجلس كبار رجال السياسة ، ثم انخرطت في اطار هذا البيت وهذا المجلس حتى اصبحت ذات يوم عضوا في كتلة التحرر الوطني التي كان بيت عمر بيهم مقرا لها . نور الدين هو بالتالي الذي نقلني من مكانة المحرر الى مكانة القائد بين قادة السياسة اللبنانية يومذاك .

٥ ـ صلاح الاسير :

كان صلاح الاسير شاعرا رمزيا فيه رقة نفس وصورة عفوية وسهولة التحسس والتعبير ، ثائر ينطق بالفكرة بلا خوف او وجل ، يروي في كثير من كتاباته عن الحركة الادبية وله لمحات دقيقة في كثير من الادباء . كان يعرف كل شيء وقد لا يعرف شيئا ، يكتب في كل موضوع يبتد عالحكاية والقصة والخبر السياسي ، نشاط دائم وحركة دائمة ، يملأ نفسه باخبار المجتمع ، ويزود برقيات « الاديب » من اخباره وشعره وابحاثه الادبية .

لقد اصدرت واياه مجلة « الفكر العربي » لثلاثة اعداد بالاشتراك مع « دار الاندلس للنشر » . وقبل وفاته، كان نائب رئيس « جمعية اهل القلم » . علمني صلاح الاستخفاف بالالقاب وبالاشخاص الذين لبستهم الالقاب فأصبحوا القابا مثل هذه الالقاب .

٦ ـ محمد علي الحوماني (١٨٩٦ ـ ١٩٦٤) :

محمد علي الحوماني شاعر جنوبي ثائر ، صاحب شعر رقيق وآخر عنيف في السياسة والاجتماع . كان يتطيب ويتلطخ ويزهو كأنه عمر بن ابي ربيعة . اذكر فيما اذكر كيف ضربت ابنته بهاتفها له بالتآمر مع اسرة المجلة ، تحت سماكة حجابها وامتشاق قدها ومرونة ذكائها موعدا على رصيف حديقة الصنائع للتغازل والمغازلة ، وكيف ان شاعرنا الجليل عاد الينا بعد رفع الحجاب وغبار الخيبة على سدارته البغدادية وجلال عباءته المقصبة ومرارة نفسه ، وكيف ان هذه الحكاية خرجت من مزاحتها وظرافتها الى قصة شعره . رحمه الله ، ما كان احبه الى النفس واغناه .

الاديب اسرة ومجلة :

كنا في « الاديب » عائلة واحدة واسرة واحدة ، ويدا واحدة ، ودواة وقلما واحدا ، حتى اننا كنا نتقاسم العيش الواحد .

كانت المجلة مستقلة وكذلك كانت اقلامها ، الحرية مقدسة لديها ، ليست بالنسبة الى اطارها العام فقط بل بالنسبة الى الاسرة بكاملها ، والى المجلة بجميع صفحاتها ، وفي جميع اخبارها، وفي بريدها وبرقياتها. هذه الاستقلالية هذا الوقار في الحكمة ، البعد عن التجريح والتشهير ، ابراز الفكرة بقوة الحوار والمنطق والعقل والبلاغة . لا ينشر مقال في « الاديب » او قصيدة او بحث او برقية الا بعد ان تدرس ويدقق فيها وتوزن الكلمة بميزان الذهب. خلف هذا الوضع للمجلة هالة وانتشارا في جميع الدنيا العربية.

في عام ١٩٤١ ، لم تكن في العالم العربي دولة واحدة مستقلة استقلالا تاما ، كانت هناك الجمهورية اللبنانية لكنها كانت تحاول التخلص من بعض قيود الانتداب، وكانت الجمهورية السورية هي ايضا في نضالية العمل ، وكانت المملكة المصرية لكنها داخل القيود البريطانية . لم يكن في العالم العربي دولة مستقلة بكل ما للكلمة من معنى اي حرة في تنفسها ، فجاءت « الاديب » حرة مستقلة ، وقررت اسرتها بالتكافل والتضامن تقديمها الى القارىء بهذه الصورة من الاستقلالية ومن احترام الراي، فنشرت لجميع الفئات شرط توافر قوة الابداع وقوة الحوار والتدقيق ، من هنا اخذت الاديب تنتشر شيئا فشيئا وتولد اسرا متعددة . لا اذكر اديبا او شاعرا الا نشأ اول ما نشأ في « الاديب » ، جميع هؤلاء الشعراء الذين تقرا لهم اليوم سواء كانوا شبانا او كبارا من نزار قباني وادونيس (١)

وخليل حاوي وسعيد عقل وجورج صيدح والياس خليل زخريا وغيرهم وغيرهم من لبنان ومصر والسودان والمهاجر خلقت الاديب كأنها دولة او كأنها جمعية امم لهذا العالم ، لهذه اللغة العربية وفضل صاحب الاديب انه احدث فيها التوازن ، لا تمر كلمة الا ودققها آخذا بعين الاعتبار احترام كل راي . كانت المجلة مجلة حضارية وما زالت تسعى الى نشر وترسيخ الفكرة العربية حتى تصبح الدول العربية دولا حضارية سباقة في التمدن ورائدة في الاكتشافات ، لهذا السبب ، مجلة « الاديب » تبحث في العلوم . وليس في « الاديب » الادب العربي فقط بل تجمع آداب الدنيا وتعربها . اما ابحاثها السياسية فليست في سياسة المختار والناطور ، انما هي في الانظمة والقوانين والدساتير ، وفي سياسة تكوين الشعوب ، وحضارة ، وطموح ، وتمدن ، وتحرر الشعوب ، وتدعو الى التخلص من الخوف والعقد النفسية . وقد حافظت المجلة على مظهرها الواحد منذ اربعين عاما ، ايمانا منها ان التغيير في الشكل والوجه والصور والخطوط قد يفقد الوقار. فعلى غلافها خط أسود وخطوط حمراء على الصفحة البيضاء ونافذة تطل منها حكمة ، لكل عدد من اعداد « الاديب » حكمة تخطط لك وتطل بك كأنها راية تهديك الى سبيل الطريق ومنهج العمل .

لقد اثرت « الاديب » في نفسي تأثيرا عميقا خاصة اثناء اسفاري ، كنت مفوضا من اسرتها في دراسة اوضاعها لدى المغتربين ، وما ذكرت اسم « الاديب » في اي بلد من بلدان الاغتراب التي زرت الا ووجدت اهتماما عند كل

لحظة حب

حياة لحظة حب بهجة العصر	والدهر من غير حب ميت الاثر
لم تنطق نبضة في القلب دون هوى	الا بكيت على ما ضاع من عمري

٥

عيناك في داخلي نبعا حنان هوى	فاضا رحيق غرام جارف ابدي
لا يشرق العمر الا من ضيائهما	فمنهما عالم الاحلام في خلدي

الحب والجذب

ان يرحل الحب عن دنياكمو رحلت	عنها الحياة وغاب العطر والزهر
فالحب كالجذب في الاكوان لو حرمت	منه تداعت على اجرامها سقر

٥

يلوح وجهك في اعماق اسراري	ينبوع خمرة اشواق واوطار
يحلو مذاق حياتي من حلاوته	كان داخل نفسي روض ازهار

السعودية — علي دمر

مستشرق واديب عربي على مختلف الفئات والاجناس بهذه المجلة ، يحتفظون بها في مكتباتهم ويتعرفون من خلالها على الادباء والادب في بلاد العرب . فلو راجعت مجموعة « الاديب » لوجدت بين صفحاتها في اربعين سنة ، لا اقول كل الادب المهجري لكن معظمه .

كانت تضم اسرة «الاديب» الطبيب والشاعر والاديب والصحفي والمخبر والسياسي واللغوي والباحث الديني والناقد وعالم التاريخ والمخطوطات ، كانت بطبيعتها اذواقا متعددة في اسرة تتعانق وتتعاقد على الود والمحبة والتعاون. كنا مجموعة نستقبل الكنوز الوافدة الينا فنشجعها ، فضلا عما كنا ننتجه وننشره عبيرا للفكر وغذاء للروح . «الاديب» اليوم هي المجلة الوحيدة في العالم العربي التي تبحث في العلوم والاداب والفنون والسياسة والاجتماع . وقف « الهلال » وغاب ، وغابت « المقتطف » و « الرسالة » و « المعرض » و « المكشوف » و « الثقافة » و« الرابطة » في العراق وغابت اكثرية الصحف والمجلات الادبية وما زالت هذه المجلة تصدر حتى هذا اليوم . لقد عرفت كيف تحافظ على نفسها لكن بصعوبة ، فقد مرت بأزمات تحملها ويتحملها صاحبها بمفرده .

وتجدر الاشارة الى انني قد نشرت في « الاديب » ، وخلال اربعين عاما ، قسما كبيرا من انتاجي النثري والشعري ، وقل ان نشرت قطعة في مجلة ما الا وسبق ان نشرتها في مجلة « الاديب » ، فأنا مقيم في مجلداتها ، ساكن في صفحاتها ، معروف بين كتابها ، بنيت شهرتي عالية على اعمدتها ، فضلها علي اغنى من فضلي عليها . اشعر وكأنها برجي الذي اطل منه على قارئي في كل ارض. وانا بطبعي اذا سكنت في مكان ، او اقمت في قلب ، او تآلفت في فكر ، استمر حيث انا دون ان يحد الوقوف من امتداد اغصاني وانبساط ظلالي . لكل مركب سارية، وقد كانت « الاديب » ساريتي تحمل مقدمات كتبي وباقات اوراقي ، فهي لي مرجعي .

---

١ ــ هو علي احمد سعيد ولد في قصابين (سورية) عام ١٩٣٠ .

البير بو عيسى

في الذكرى الخمسين لرحيل الشاعرين حافظ وشوقي

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

« اقامت المدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة حفلا كبيرا ، في ذكرى رحيل الشاعرين الرائدين حافظ وشوقي . ودعت الشاعر عامر محمد بحيري ، وهو احد خريجي المدرسة عام ١٩٣٠ ، للمشاركة في هذا الحفل فالقي الكلمة التالية » :

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني ان يقع حديثي الليلة ، في احب مكان الى نفسي ، وعن احب شاعرين الي . اما المكان فهو هذه المدرسة العظيمة — المدرسة السعيدية — التي كانت لي ابنتا تربيت فيه ، ومعهدا بنيت فيه حياتي على اساس متين من العلم .. وكلا الحبين ، حب المكان ، وحب الشاعرين .. مضى عليه حتى اليوم ، خمسون عاما .

كنت في اواخر العشرينات ، وحتى مطالع الثلاثينات طالبا في هذه المدرسة ، ملتحقا بقسمها الداخلي ، اختلف الى فصولها نهارا ، واعود الى مسجدها ، ومطعمها ، وغرف مذاكرتها ، وعنابر نومها ليلا .. واني لاذكر بالخير من بقي من زملائي ، كما استمطر شآبيب الرحمة على من مضى منهم ، ومن اساتذتي ايضا .. كما يسرني اليوم ان ارحب باصدقائنا الجدد، من خريجي المدرسة، واساتذتها، والجيل الجديد من طلابها .. سعيدا كل السعادة ، بهذه الصفوة المختارة ، من شعراء مصر وادبائها ، التي تزين بحضورها صدر هذا الاجتماع ، كما تزين النجوم الزاهرة من الليل .. صدر السماء !

* * *

وتحتفل البلاد اليوم بالذكرى الخمسين لرحيل الشاعرين الكبيرين حافظ وشوقي . وتسبق المدرسة السعيدية كعادتها في احراز قصب السبق في كل مضمار .. للاحتفال الكبير بعلمي مصر بل بهرميها الخالدين !

ولما كان مجال القول ذا سعة ، والجهات التي ستحتفل بهذه المناسبة كثيرة .. فقد رايت ان اقصر حديثي هنا ، على ما كان من امري ، وامر الشاعرين .. عندما كنت لا ازال طالبا في هذه المدرسة ، ناشئا في دولة الشعر واقفا على شاطىء الحياة !

لقد كانت الحياة الادبية في ذلك الحين ، تتمثل في الشعر ، اكثر مما تتمثل في اي لون اخر من الوان الفنون والاداب .. لم يكن هناك بعد المذياع ، ولا المرئي .. لم تكن هناك التسجيلات ، ولا المسلسلات ، التي تشد شباب اليوم ، وتشغله عن اكثر وقته .. نعم ، كان هناك المسرح، والغناء ، والموسيقى .. ولكن الشعر — الذي قيض الله له شاعرينا العظيمين يومئذ — كان غالبا ، وكان صوته جهيرا عاليا .. ربما قيل اليوم انه لا ضرورة للشعر — وهو ضرورة في كل وقت — بحجة اننا قد اصبحنا امة عاملة ، لا مجال فيها للخيالات والاحلام .. ولكننا في ذلك العهد ، كنا نعاني قسوة الاستعمار ، وبطش الاحتلال .. وفي فناء هذه المدرسة ، سمعت اول صيحات الشباب ، الداعية الى الحرية والاستقلال .. وكانت الخطابة سلاحا، لا سلاح غيره .. وكان الشعر من امضى اسلحة الخطابة .. واحد سيوف القتال . واعلى طبول الحرب . كما قال شوقي نفسه في ذلك :

ليس عزف النحاس اوقع منه ... في شجاع الفؤاد ، او في جبانه

* * *

على اني سوف ابدأ بالحديث عن حافظ .. تمشيا مع التسلسل التاريخي ، والمنطقي .. فان سهولة شعر حافظ ومعايشته للاحداث الوطنية ، ووجود ديوانه بين يدي ، وانا لا ازال بعد في المرحلة الابتدائية .. كل ذلك جعلني احفظ هذا الديوان عن ظهر قلب ، وخصوصا هذه القصائد الوطنية الرائعة ، التي هي اصدق ما في هذا الديوان احساسا ، واقوى تعبيرا ..

ان الدارس لشعر حافظ ، لا بد ان يقف عند شعر هذه الفترة ، في العقد الاول من هذا القرن ، بين احالته الى الاستيداع ، بعد ثورة للضباط الوطنيين شارك فيها .. وتعيينه في دار الكتب ، مديرا للقسم الادبي .. ليخفت صوته ، الذي ازعج الاستعمار ، وتفتر حماسته .. ولئن كان ذلك قد حدث بصورة من الصور ، فان حافظا عند احالته الى المعاش في عام ١٩٣٢ .. احس الخروج من قيد الوظيفة ، وسجن العبقرية .. فاستأنف جهاده الانكليز..

مما جعل قصيدته الرئيسية في هذا المقام (وهي الميمية التي مطلعها : قد مر عام يا سعاد وعام ، وابن الكنانة في حماه يضام) ! تختفي او تفقد .. ومما جر عليه بعد ذلك الحرمان من احياء ذكراه بعد موته ، والمشاركة لسميه شوقي ، فيما ناله من حفلات التأبين ، وقصائد التكريم ..

وقع حادث دنشواي عام ١٩٠٦ ونزل حافظ الى المعركة محاربا .. يحمل سلاحه ، ويصوبه الى صدر

اعدائه قائلا لهم ، في مرارة وسخرية :

ايها القائمون بالامس فينا   هل نسيتم ولاءنا ، والودادا
خفضوا جيشكم ، وناموا هنيئا   وابتغوا صيدكم.. وجوبوا البلادا
واذا اعوزتكم .. ذات طوق   بين تلك الربى.. فصيدوا العبادا
انما نحن والحمام .. سواء   لم تغادر اطواقنا الاجيادا

ويخاطب كرومر ، بعد عودته من الإجازة ، بذات المرارة والسخرية :

رفقا عميد الدولتين .. بامة   ضاق الرجاء بها ، وضاق المذهب
رفقا عميد الدولتين .. بامة   ليست بغير ولائها .. تتعلب
ان ارهقوا صيادكم .. فلعلهم   للقوت .. لا للمسلمين .. تعصبوا

ويذهب كرومر .. بعد هذه الحملة الصادقة من سهام الوطنيين ، فيودعه حافظ ساخرا كذلك .. ولكن من موقف الاستعلاء الوطني ، متمثلا كلمة مصطفى كامل « احرار في بلادنا ، كرماء لضيوفنا » .. فيقول :

لقد حان توديع العميد .. وانه   حقيق بتوديع المحبين .. والعدا
فودعنا الطود.. الذي كان شامخا   وشيع لنا البحر.. الذي كان مزبدا
وزوده عنا .. بالكرامة كلها   وان لم يكن بالباقيات .. مزودا

ويذهب عميد ويأتي بعد عميد آخر .. وهنا يثور الشاعر ثورته العارمة .. مروعا العميد الجديد منذ استقباله ، ان افعلوا ما شئتم ، فان الثورة لقادمة .. وان يقظة الشعب لحقيقة واقعة :

قتيل الشمس .. اورثنا حياة   وايقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومرا .. قد دام فينا   يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن   بمجلود ، ومقتول شهيد ..
لتنزع هذه الاكفان عنا   ونبعث في العوالم .. من جديد

على ان وهج هذه الثورة يخفت قليلا ، بقيام الحرب العالمية الاولى .. التي لا تكاد تنتهي حتى يهب الشعب في ثورة ١٩١٩ معلنا غضبته الكبرى . وهنا يقف حافظ ، لا ليذكر مصطفى وفريد ، ولا لينحاز الى سعد او عدلي .. ولكن ليرتفع الى السماء .. فيتقمص ثوب مصر ، ويتركها تتحدث عن نفسها .. واذا بمصر تضع نفسها حيث يجب ان تكون من خريطة العالم العربي كله .. وذلك حيث يقول حافظ بلسانها :

انا .. ان قدر الاله مماتي   لا ترى الشرق يرفع الراس بعدي

★ ★ ★

جئت الى المدرسة السعيدية ، وانا اعرف كل هذا عن حافظ .. ولكن معرفتي بشوقي كانت اقل ، حتى جاء عام ١٩٢٧ وما بعده .. حيث وقعت احداث عايشتها ، وعايشت فيها شعر شوقي ، وانا طالب في هذه المدرسة .. منها وفاة سعد زغلول ، وذكرى عيد الجهاد الوطني ، ومشروع معاهدة ثروت تشمبرلن ، التي عارضتها بقصيدة مبكرة . ثم اخيرا قصيدة ازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر .. ولنستمع في هذه القصيدة الاخيرة ، الى شوقي كيف يتحدث عن نفسه في روعة بيانية ، وقدرة بلاغية .. فيقول :

جعلت حلاها ، وتمثالها   عيون القوافي ، وامثالها
وارسلتها في سماء الخيال   تجر على النجم اذيالها
واني لغريد هذي البطاح   تغذى جناها ، وسلسالها
ترى مصر كعبة اشعاره   وكل معلقة .. قالها ..
وتلمح بين بيوت القصيد   حجال العروس ، واحجالها
ادار النسيب الى حبها   وولى المدائح اجلالها
ارن .. بغابرها العبقري   وغنى .. بمثل البكا .. حالها
ويروي الوقائع في شعره   يروض على الباس اطفالها
وما لمحوا بعد ماء السيوف   فما ضر لو لمحوا .. آلها

فلقد وصف شوقي نفسه ، واحاط بجوانب فنه الشعري ، في هذه المقدمة الموجزة .. ثم يشوقه حديث الفن التشكيلي نفسه ، فيتحدث عن الفنان المثال ، غير ناس ثورة مصر ، التي كانت له في عمله وحيا ومرشدا .. فيقول :

لقد بعث الله عهد الفنون   واخرجت الارض .. مثالها
تعالوا نرى كيف سوى الصفاة   فتاة .. تلملم سربالها
دنت من ابي الهول.. مشي الرؤوم   الى مقعد . .هاج بلبالها
وقد جاب في سكرات الكرى   عروض الليالي ، واطوالها
والقى على الرمل .. ارواقه   وارسى على الارض اثقالها
يخال لاطراقه في الرمال   سطيح العصور ، ورمالها
فقالت : تحرك ! فهم الجواد   كان الجماد .. وعى قالها
فهل سكبت في تجاليده   شعاع الحياة ، وسيالها
اتذكر .. اذ غضبت كاللباة   ولمت من الغيل اشبالها
والقت بهم في غمار الخطوب   فخاضوا الخطوب .. واهوالها
وثاروا .. فجن جنون الرياح   وزلزلت الارض زلزالها ..
واهيب ما كان باس الشعوب   اذا سلح الحق .. اعزالها

★ ★ ★

وطلع علينا شوقي ، في حدود هذا التاريخ ، بفتحه الكبير ، في تجديد الشعر العربي ، والارتفاع به من محلية القصيدة ، الى عالمية المسرحية .. وكنت بين السادسة عشرة ، والسابعة عشرة .. اتطلع الى مثل هذه الافاق الرحبة ، مستعدا للسير مع كل جديد .. وحدث اننا كنا ندرس شكسبير ، في هذه المرحلة الثانوية ، دراسة جادة .. وكم كان رائعا ان يقول لنا استاذ اللغة الانجليزية — وكان انجليزيا — ان لديكم اليوم في مصر شاعرا يضاهي شكسبير ، مما جعلني يومئذ اشعر بالزهو والفخار . وسرعان ما جمعت بين المسرحية المقررة « العاصفة » وبين الطريقة الشوقية في « مصرع كليوباترة » .. فكتبت في صدر ترجمتي للمسرحية الاولى ، على لسان بطلتها ، وهي تخاطب اباها .. فتقول :

ابي .. ان كنت بالسحر   اثرت الرعب في البحر ..
فخففه ، أو احرقه   ولا تعمد الى الشر !

وكان في المسرحية حكمة تقول : ان الارحام الطاهرة .. ربما ولدت النفوس الشريرة ..

فكتبت في ترجمتها .. اقول :

فلربما نسب الزمان وحرفه   شر البنين ، لاطهر الارحام

وهكذا قدم لي شكسبير الفكرة ، كما قدم لي شوقي طريقة الاداء الشعري .. ولم يكن ذلك الا من حصيلة

دراستي العلمية ، واهتماماتي الادبية ، وانا بعد طالب بالسعيدية .

ولم يقتصر الامر على ذلك .. فان طموح الشباب دفعني لمجاراة الشاعرين الكبيرين وشكسبير وشوقي .. في كتابة مسرحية شعرية مؤلفة .. وكان استاذ مادة التاريخ السياسي ، المرحوم الاستاذ داود عطية .. يلقي علينا دروسه عن عالثورة الفرنسية ، بطريقته الاخاذة .. فسرعان ما التقطت من بين احداث الثورة ، موضوعا يصلح لمسرحية مؤلفة ، سميتها « ماري انطوانيت » .. وكتبت منها اربعة فصول .. وسأختار منها بضعة ابيات ، تدل على جميعها ، في حوار بين بعض الثوار ، يهاجمون الملكة الاجنبية ، لانها كانت نمسوية الاصل مسيطرة على الملك الضعيف الشخصية ، لويس السادس عشر ..

يقول احدهم :

ولكن ، يا بني الوطن استفيقوا   وعودوا للاناة ، وللرويه
فهذا القصر ذو جيش كبير   قريب البطش ، ذي ايد قويه
وليس على المليك الذنب ، لكن   على تلك البغي النمسويه

ويثور المستمعون ، كل يلقي عبارة من هذا البيت ، المقطع على تفعيلات بحر الوافر :

لحاها الله ! اهلكها ! بغي ؟   لقد خسئت ! ـ تموت الاجنبيه !

فيقول :

عدوكم المليكة .. فاجعلوها   عدوا ..

الجميع :

فلتذق كأس المنيه

الاول :

ولكن المليك لكم صديق   محب الشعب ، ذو نفس تقيه
ويوم العقد اذا عدتم بنصر   وعاد الكردنال .. من القضيه
اكركم .. فلم يظلم بريئا   وان يظلم يعذب اكثريه

حتى يقول :

وعاد بمجلس الشورى اليكم   كما الغى الفروق الطائفيه

★ ★ ★

وقبل ان انتهي من هذه الكلمة الموجزة ، الخص ما علمتني المدرسة السعيدية ، وما صحبني فيها من توجيهات الشعراء الكبار ، حافظ وشوقي وشكسبير .. فيما يلي :

قدم لي حافظ ابراهيم ، قصائد الشعر الوطني .. فعلمني كيف اتابع الاحداث الكبرى ، انفعل معها بحماسة ، واعبر عنها بصدق ..

وقدم لي شوقي ، قصائد الالهام الشعري ، فعلمني ان الشعر ليس مجرد صياغة نظمية .. ولكنه كما قال : ذكرى وعاطفة ، وحكمة بالغة .

ثم قدم لي شوقي كذلك مسرحيات الشعر .. ففتح امامي الطريق لمتابعته ، وانا لا ازال طالب علم ، لاكتب مسرحية عن « ماري انطوانيت » .. تتبعها محاولات من التأليف والترجمة ، على مدى الحياة .

وقدم لي شكسبير .. موضوعات مسرحياته العالمية الخالدة .. مع عبارة صغيرة وجدتها في صدر نسخة المسرحية ، التي حرفت لي ـ هنا ـ في المدرسة السعيدية .. تقول بالانجليزية :

«The reader acts the play on the theater of his oron mind»

ومعناها : انه على القارىء ان يمثل المسرحية بنفسه على مسرح عقله الخاص .. فنبهني ذلك الى ان مهمة الشاعر هي أن يكتب فقط .. تاركا مهمة الاخراج والتمثيل لاربابها .. فسهل علي المهمة وفتح امامي الافاق الواسعة للتصور ، والتفكير ..

ان الاحتفال بالذكرى الخمسين لرحيل الشاعرين الكبيرين حافظ وشوقي .. وحديثي عنهما الليلة ، في المدرسة السعيدية ، ولقائي مع الصفوة الممتازة من كبار شعراء مصر .. كل ذلك عيد للشعر ، والفن ، والعلم ، والثقافة .

شكرا للسيد الجليل ، الاستاذ احمد محمد صقر ، مدير المدرسة .. على اتاحة هذه المناسبة .. لنا جميعا لنلتقي شيوخا ، وشبابا . زملاء واحباء . في اكرم دار ، واعز رحاب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

ما انصفوا لغتهم

بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي

* * *

هم فريقان قد ضلا السبيل فتقطعت بهم الاسباب ، الاول جمهرة ممن يكتبون ، او قل من حملوا على هذه المهنة فابتلوا ، بتوهم الاحساس بالصواب وجل هؤلاء من العاملين في « الصحف » .

ورحم الله الحسن بن هانىء القائل في رثاء صديقه خلف الاحمر :

اودى جماع العلم مذ اودى خلف
كنا متى نشاء منه نغترف
رواية لا تجتنى من الصحف

لقد ادرك حقيقة الصحف هذا الذي اسميته ولم اكنه مخافة ان يستكثر طلب الرحمة له جمهرة من القراء – غفر الله لهم – .

اقول : لقد حمل الضيم على اللغة العربية المعاصرة هؤلاء الصحفيون الذين ادخلوا في العربية الجديدة اوشابا من كلم واساليب فمنه ما احتملناه على مضض ، ومنه ما نبرا الى الله منه . وشاع هذا الجديد واداره المعربون في كلامهم وكتاباتهم ، وهو شيء كثير يملأ كتابا برأسه ، وكأن جمهرة هؤلاء قد احسوا أن ما درجوا عليه من العربية وان لا شيء فيه من الغريب الدخيل ، وهذا هو توهم الاحساس بالصواب . وقد يكون عسيرا جدا ان تطلب من هؤلاء ان يغيروا ، وان يقر في نفوسهم ان شيئا مما سلكوا فيه هو لغط بعيد عن الصواب بله عن الاسلوب الجميل .

والفريق الثاني اعظم خطبا من هذا الفريق الاول ، واريد بالفريق الثاني طائفة ممن يؤمنون بالحفاظ على العربية والغيرة على كلمها واساليبها ، فيدفعهم ذلك الى « الاحساس بالخطأ » . وكأن هذا الاحساس بالخطأ قد دفعهم الى ضرب من التمحل في الوصول الى الخطأ الذي لا وجود له . وقد تقرأ في كتب هؤلاء المعنيين بالخطأ انماطا قد تدفعك الى انهم اصطنعوا هذا الخطأ المزعوم ليكون مادة لهم .

ولعل هؤلاء اشبه بالنحاة الاقدمين الذين تشبثوا بالشواهد المصنوعة ليتسع لهم في ذلك مجال القول . واني لاذكر ان النحاة اكثروا القول في شاهد من شواهدهم وهو قول الراجز :

اعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين اشبها ظبيانا

وموطن الشاهد مجيء نون المثنى مفتوحة ومجيء المثنى ملازما للالف في الرفع والنصب والجر .

قلت : لقد اكثروا القول في هذا الشاهد الذي لا يعرف قائله ، وبعد ان اطالوا في ذلك قالوا :

وقيل انه مصنوع .

قلت : كأن هؤلاء المعنيين بتصحيح الخطأ المزعوم مثلهم كمثل النحاة الاقدمين في التشبث بالمصنوع من الشواهد .

لقد شغل هذا الفريق في عصرنا انفسهم بالوقوف على الخطأ فدفعهم ذلك الى اختراع الخطأ ، واذا لم يكونوا كذلك فالكثير من الخطأ الذي اشاروا اليه يعود الى انهم قصروا في البحث عن الاساليب كافة فقد تشبثوا بوجه واحد وحسبوا ان ما خلا ذلك من الخطأ ، ولو استوفوا الاستقراء لعرفوا انهم ضيقوا واسعا ومنعوا ما كان جائزا مباحا . ولا بد ان يعرض لهم الوهم بسبب ان ادراك الاستيفاء والاستقراء امر عسير كل العسر ، ولا يتأتى الا للصفوة من العلماء ممن قضوا العمر في الدرس والحفظ والوقوف على كلام العرب شعرهم ونثرهم ، وهؤلاء مع هذه السعة التي نلمسها لديهم قد يفوتهم الكثير .

ولنضرب امثلة لهذه الممارسة الخاطئة التي يعانيها هذا الفريق من اهل «التصحيح» .

ومن ذلك ما اذكر ان وزارة المعارف في بلد عربي قد كلفت ثلاثة من علمائها لوضع كتاب في البلاغة لطلبة المدارس الثانوية ، فاتفق هؤلاء ان يضطلع به اثنان منهم ويتفرغ الثالث لمراجعة الكتاب ، وكان هذا المراجع من اهل العلم بالكلم والاساليب ، ولم يكن منه حين قرأ في « مقدمة » رفيقيه للكتاب قولهما : « ... فليتدبر الطالب مادة البيان ... » الا ان علق على قولهما « فليتدبر » فذهب الى انها خطأ بسبب ان معنى « التدبر » هو النظر في الادبار (كذا) .

اقول : ان هذا المراجع من اهل العلم ، ولكني اقول : ان السعي وراء التصحيح يوقع صاحبه في مهاوي توهم الخطأ وذلك لانه لا يمكن ان يكون حافظا امينا الى انه استوفى ما جاء في اساليب العربية .

وكيف يتم له هذا الاستيفاء وهو لم يملك في حفظه ما ورد في لغة التنزيل العزيز ؟ لو ان هذا العالم الجليل قد حفظ من آي القرآن ذرءا لوقف على قوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن » ثم ادرك ان « التدبر » في هذه الآية لا يمكن ان يكون « النظر في الادبار » كما فهم في « مقدمة » رفيقيه مؤلفي « كتاب البلاغة » .

واذكر ايضا اني سمعت احد هؤلاء العلماء من اهل الحفاظ على الاساليب العربية يقول برفض عبارة وردت في قطعة نثرية ، وقد كنا اعضاء في لجنة لغوية معنية بـ « الاصول » .

وهذه العبارة هي قول احدهم : « ... وسنصير من ذلك الى فهم خاص » ، لقد رفض صاحبنا استعمال الفعل « صار » على هذا النحو ، وكأنه يعرف ان هذا الفعل مقصور على استعماله استعمال « اصبح وظل » ونحوهما مما يحتاج الى اسم وخبر كقولنا : صار الهواء باردا .

اقول : لقد ادرك صاحبنا ان لهذا الفعل استعمالا اخر كسائر الافعال الاخرى التي تفيد هذا المعنى وانه كثير في آي القرآن الكريم كما في قوله تعالى : « الا الى الله تصير الامور » ٥٣ سورة الشورى .

قلت : لو ادرك هذا التراجع عن التعجيل في الذهاب الى الخطأ في فعل شهير جاء في لغة التنزيل وفي اساليب البلغاء الكتاب في سائر العصور .

ويحضرني ما اشاهده في « تلفزيون » احدى الدول العربية ، وفيه برنامج يضطلع به احد هؤلاء المعنيين بتصحيح « الخطأ » المتوهم ، وقد جاء في اقواله :

يقال : تغلب الفريق الفلاني على الفريق الاخر في سباق الكرة .

وذهب الاستاذ الى ان الكلام خطأ لان « التغلب » لا يكون الا في قول المعجم : تغلب الجيش على عدوه واحتل ارضه ، هذا هو قوله او شيء كثير منه .

اقول : واذا كان هذا في المعجم القديم افلا يحق لنا ان نقول شيئا منه فيما يقتضيه تبدل العصور من فكرة « التغلب » ، واذا كانت الغلبة في الحرب فلم لا تكون في ممارسة هذا الضرب من الرياضة الجسمية ؟!

وسمعته ايضا يقول : لا تقل : صنعت هذا بوساطة الجهاز الجديد مثلا ، والصواب : صنعته بواسطة ...

اقول : وان كنت لا افرق بين المصدر واسم الفاعل في هذا الاستعمال ويصح الكلام باستعمال « بوساطة » كما يصح باستعمال « بواسطة » ، فاني لاميل الى تفضيل المصدر « بوساطة » خلافا لصاحب البرنامج ، وذلك لان المراد هنا الحدث ، ذلك ان « الجهاز » هو « الواسطة » فكيف نقول : « بواسطة الواسطة » ، واذا كان « الجهاز » هو الواسطة ، فالاولى ان يقال : بوساطة الجهاز .

ومثل هذا نقول : ويصح هذا الامر بدليل كذا وكذا، كما نقول : بدلالة كذا وكذا ، وعلى هذا فليس من خطأ .

واذ اكتفي بهذا القدر اقرر ان اغلب هذه المواد التي اشاروا الى الخطأ فيها ليست من الخطأ ، ولو دقق اصحابنا هؤلاء النظر وجهدوا في الاستقراء لوقفوا على اشياء ترد ما ذهبوا اليه . وفي هذا القليل شيء من نماذج حفل بها منهج في الدرس غير سليم .

وقد تهيأ لي من هذا النمط الشيء الكثير مما ازمع ان اجعله كتابا .

ابراهيم السامرائي **عمان ـ الجامعة الاردنية**





بدوي الجبل

بدوي الجبل في خمائل الشعراء

الى الشاعر الكبير الشيخ الياس خليل زخريا المحترم

عرفتك من خلال شعرك .. ولا اخفي عليك اعجابي وتقديري .. كما لا اكتمك بان قصيدتك الرائعة التي نشرتها ((الاديب)) مؤخرا اعادت لي ذكريات حبيبة الى قلبي ، كما اوحت الي بهذه القصيدة ((العرجاء)) او ((البتراء)) سمها كما تشاء .. واذا كانت قد جاءت دون المستوى ، فانها على الاقل نفحة وفاء ، وذكرى اخاء لشاعر عاش في دار غربة بعيدا عن اهله ووطنه ، ورحل عنا اخيرا كما يرحل الطائر المهاجر .

ليل طويل فلا حب ولا سمر ... يا خالق الليل اضنى قلبي السهر
وحدي اجوب فيافي العمر لا وطن ... يحنو علي ولا ظل ولا شجر
تمر في خاطري الذكرى فتحملني ... الى مجاهل فيها النور يحتضر
هناك لا بارق يرجى ولا امل ... ولى الشباب وغاب الشمس والقمر

انا الغريب ودنيا الله ما عرفت ... مثلي غريبا الى الغفران يفتقر
امشي تراودني الافكار واجفة ... تبدو النجوم ونجمي بعد منتظر
من بعد ما كنت نجما يستضاء به ... انا على شاطىء النسيان مندثر

كأنني حبـة عجفاء يقذفهـا   نحـو الفنـاء اله الكون والقـدر
وعقني الاهل حتى لا ارى احـدا   منهم يقـاسمني البلوى وينتصر
لو انهم علموا ما قد بنيت لهم   من المـآثر ما عقـوا وما غـدروا
دنيا من الخير في قلبي مرابعهـا   والشر عنـدي مذمـوم ومحتقـر
فكم عفوت عن القالي وعصبتـه   وكم رثيت لمن حادوا ومن كفروا
القاطعين دروب الذل ما تعبـوا   من المسير ولم تنفعهم العبـر
البائعين الى العبدان انفسهم   المنصتين وفي آذانهـم وقـر
الساجدين الى الاصنام تعرفهم   من الجباه ففيهـا يظهر الاثـر

قالوا العروبة .. قلنا كلنا عرب   فلا تمـاروا وخلوا الحق ينتشر
نحن العروبـة ماضيها وحاضرها   ما يعرب الجد ما عدنـان ما مضر
اعلامهـا قد رفعناها فما وهنـت   منـا السواعد او حاقت بنا خفر
لعلكم قـد جهلتم كل نافلـة   عنـا وفينا فلا تدرون ما الخبـر
وكيف تنفون عنـا كل مكرمـة   والامس يعرف والتاريخ والسيـر
يا شاعر الجبل العالي يهدهـده   همس النسيم وطـل ريـق عطر
غنيت واللهب القدسي منبلـج   وسامر الحـي لا يغنى ولا يحـر
وخمرة الروح تطوي في سلافتهـا   شوق المحب وبالالهـام تستعـر
بيني وبينـك عهد لا انفصام لـه   من الوفـاء وود عـاطر نضر
فانت ما كنـت الا طائـرا غـردا   انى اقـام يجـود العـود والوتر
خمسا قضينـا سني عمر معطرة   بالحب تجمعنـا الاداب والفكـر
لبنان يا وطن الاحباب ليس لنـا   ذنـب فناتي اليك اليوم نعتـذر
من وحي ارزك صغنـا كل رائعـة   ومن كرومـك خمر الروح تعتصر
وعند شاطئـك الحاني على افـق   حف الرداء وماج الحسن والدرر

ربي ؟ مرابعنا غـارت مناهلهـا   ومات فيها الندى والظل والثمـر
فلا الزهور اطلـت في خمائلهـا   حتى العبير فـلا يسري وينتشر
ولا الطيور على الادواح شاديـة   اخالهـا وهنت وانتابهـا الكبـر
بالامس كانـت تغنينـا وتطربنـا   ترنو فيهفـو اليها السمع والبصر
واليوم لا سامـر يشدو بايكتنـا   ولا بشـير يمنينـا ولا اثـر
والشعـر اضحى غريبـا لا يردده   الا الذين على الالام قـد صبروا
لم يبق لي الدهر من ارجو مودته   وليس تبهرني الانـوار والصـور
في كل يـوم دمـوع العين اذرفها   اثر المحبين من راحوا ومن عبروا
في كل يوم قبـور في مرابعنـا   نديـة الترب ينمـو عندها الزهر

يا واهب الخير لا تحصى فضائله   وعالم السر منـان ومقتـدر
انت المرجى اذا راحـت تهددنا   نوائب الدهـر والارزاء والغـير

يا رب هذي صلاتي كلما طلعـت   شمس وحلـق في اجوائنـا قمر

سلمية ـ سورية

عارف تامر



ايليا حليم حنا

وقع أقدام على طريق الحياة

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

الانسان :

كائن عاقل في قتام ، عظيم في قحة ، خلق ليرتفع نصفه وينهار نصفه .. انه سيد الاشياء جميعا ، وفريسة الاشياء جميعا ، الحاكم الاوحد للحقيقة ، المتردي دائما في الخطأ .. انه عظمة هذا العالم ودعابته .

هذا هو الانسان كما هو بحق ، وكما وصفه (بوب) .. ساحة تصطرع فيها البدائية المترسبة في اعماقه ، والمبادىء الاخلاقية والواجبات الانسانية التي طلت الحضارات المتعاقبة جلده بها .

الانسان العتيق ما زال يعيش فينا ، ويوجهنا ، ويعربد في دنيانا ويجمح بنا ، ونحن له مذعنون لطول ما عايشناه منذ ان كان لنا وجود على هذه الارض .. لا تزال اعماقنا تعيش في ذلك العالم القديم البعيد ، في ظلاله القاتمة وطرقاته المظلمة . لا زلنا ندخل الكهوف المظلمة نحتمي فيها رغم كل هذا التقدم الباهر والمعجزات العلمية المذهلة .. لا زلنا نلقي اضواء اعماقنا البدائية على كل شيء .. ولا زالت الاهداف العليا للحياة الانسانية الراقية طلاء ضعيفا سريع الزوال . لا زالت دنيانا تواجه الحياة غير مؤمنة بمبادئها السامية ، لا تؤمن بشيء في زحمة التطور العاجل السريع، وكأننا لازلنا نسكن الكهوف ونعيش في عالمها السحيق بين وحوش وزواحف .. لقد اصبح انساننا سيد الاشياء جميعا ، ولكنه لا يزال فريسة الاشياء جميعا !

الحقيقة في حياة الناس

ليس في حياة الناس ما يمكن اعتباره حقيقة ثابتة الانسان نفسه يتخذ صورا متعددة حتى يتحول الى حفنة من تراب في النهاية .. حتى في اعماقه ليس هناك شيء ثابت ، كل شيء هناك تتعدد صوره في كل لحظة . اعماقنا تشكلها عواطفنا وظروفنا ، فنرى في وقت الفرح ما لا نراه في وقت الحزن ، وفي وقت التعب يختلف ما نعمله عن ذلك الذي نعمله في وقت الراحة ، لا نثبت على حال في حكمنا على الحياة ، فتارة رضا وتارة سخطا بمقدار ما نشعر به من الراحة او نحس من الالم . وحتى العقل وهو الاداة التي نقيس بها الحقيقة يصور لنا شيئا اليوم في صورة ونراه في الغد في صورة اخرى .. ان تفكير الانسان يتلون بمزاجه وعواطفه واحساساته المختلفة في الظروف المختلفة وبما يواجهه وبما يحيط به .. ان العقل ومعه العاطفة التي كثيرا ما تقوده ، لا يثبت على شيء واحد الا في المسائل العلمية التي تلقن له ويثق في صحتها ، وتنزل من تفكيره منزلة الايمان .. الانسان في كل اموره تقريبا يتأثر تفكيره بصالحه كما يتأثر ماء البحر مدا وجزرا بدورة القمر .

اننا نبحث عن الحقيقة فيما حولنا وفي نفوسنا .. وكل يراها من زاوية خاصة متأثرا بالظروف التي يعيش فيها او يواجهها .. لا شيء في حياة الانسان يتسم بالثبات والديمومة . ان التغيير يطرأ كل يوم على تكويننا النفسي والجسماني ، وحتى المنطق يتغير دواما ولكل منطقه .. منطق القوة يختلف عن منطق الضعف في الناس وفي الدول، وحتى العدل والحرية والتسامح ترى جميعها من زوايا مختلفة ، وايمان فئة بها يغاير ايمان فئة اخرى . ليس في حياتنا اية حقيقة ثابتة لا تتغير الا حقيقة الموت الذي نؤمن به ايمانا راسخا ولكننا نراه دائما بعيدا ، ويشغلنا عن التفكير في بشاعته الانشغال بطموحاتنا ورغباتنا .

لست شخصا واحدا

لكل منا عالمان يعيش فيهما .. العالم المرئي الذي يرانا فيه الناس ويميزوننا فيه بأسمائنا واوصافنا وملامحنا وافكارنا وسلوكنا .. ولكن في اعماقنا عالما اخر قد يكون

مغايرا تماما لكل ما نبديه من تصرفات وافكار وعواطف ورغبات .. لكل منا صورة اخرى لا يراها غيرنا . الذات الحقيقية المخبوءة في اعماقنا بالاضافة الى الصورة الظاهرة للناس .

في اعماقي واعماقك شيء تخفيه عن الناس ، حتى عن الصقهم بك ، لانك لا تريد ان تفسد علاقتك بهم ، او لان ما تخفيه لا يرضى عنه العرف والمجتمع والقيم السائدة ، وقد تكون في هذا على صواب ، والمجتمع والقيم السائدة على خطأ ، وقد تكون مخطئا .

ان الذات الحقيقية المخبوءة في الاعماق .. تظل دفينة في الانسان العادي وتظهر بكل جراة ووضوح وقوة في العباقرة العظماء الذين خطوا بعالمنا الى الامام .. وهم قلة .

وهذه النفس الدفينة تظهر بفوضاها في المنحرفين الذين لم تهذب التربية الحيوان الجاثم في اعماقهم فعربد ودفعهم الى الافصاح عنه وكشفه على سوءاته للعيان .

لكل منا في عالمه الخاص تصوراته ورأيه في المفاهيم والانظمة السائدة والتقاليد والاقرباء والاصدقاء واشياء اخرى كثيرة لا حصر لها .. وكثيرا ما تتصارع الذات الخفية مع الذات الظاهرة ، وكثيرا بل غالبا ما تخمد الذات الظاهرة انفاس الذات الدفينة خوفا من غضب المجتمع الذي يسحق من لا يسير في القطيع الكبير ..

عندما ينفرد الواحد بذاته الحقيقية بعيدا عن القيود والحساب والمؤاخذة يتركها تسرح وترى النور ، بعيدا عن كل الاعين الا عينه ، وعن كل اذن الا اذنه .. ثم يلملمها بعد جولتها ويدفنها ثانية في اعماقه ويخرج للناس بذاته الظاهرة .

طفل الحياة الغرير

لا تتوقف رغبات الانسان لحظة واحدة في حياته .. انه دواما يرغب ويريد .. وكثيرا ما يشعر بالقلق لانه يخشى ان يقع ما يعطل او يتلف رغباته .. واذا حقق رغبة سعى الى المزيد . انه لا يعرف نهاية لما يريد . يريد دائما ما يظنه انه يسعده ، ويعمل جاهدا على ان يتخلص مما يثقل كاهله وينغصه . تضع الحياة في طريقه دائما مشكلاتها ومتاعبها التي يشغل نفسه بحلها ليهنأ .. ولكي يقوى على الكفاح ولا يهرب تضع الحياة امامه الامال والاحلام .. انها تصفعه بيد وتلوح له بقطعة من الحلوى باليد الاخرى .

انه دائما يريد .. يريد اشياء كثيرة يجهد نفسه في تحقيقها ويسعى وراءها كمن يسعى الى سراب .. يفكر في السعادة وهو يتألم ويشقى . يشعر بوقع الحياة الاليم ولكنه مع هذا يأمل في غد مشرق . لا يرى لحياته طعما ولا هدفا ولكنه يأمل ان يذوق طعمها الحلو ويحقق ما يسعده في الغد القريب ، فيسرع الخطى ويضاعف المجهود وتنهك قواه ، وهو يحلم بالوجه الجميل من الحياة .. وهو لذلك رغم كل ما يعاني يريد ان تطول ايامه ليحقق ما يريد .. يعيش واقدامه على الجمر ونظره يمتد الى السراب يسعى اليه ليجد عنده راحته وسعادته ويحقق ما فشل في تحقيقه .. لا يمل ولا يضحك من نفسه وهو يحس وقع الحياة الثقيل ولكنه يترقب الغد وما يأتي به من خلاص وبهجة ومتعة . الغد هو الواحة التي نلجأ اليها عندما يضنينا السير في صحراء الحياة . بدون التطلع اليه ما كنا نحتمل الحياة .. ان السعادة التي نتخيلها فيما نريد هي ملهاة حياتنا ، هي اللعبة التي نتسلى بها حتى نقطع الطريق ونصطدم بالحائط الرهيب .

يعرف الانسان ان كل حياة الى نهاية ولكن رغباته ومشتهيات نفسه تخدره وتلهيه عن حقيقته المرة .. انه وهو سائر الى مصيره المحتوم لا يحس ان سيره هذا يدنيه من المصير الرهيب ولكنه يحس انه يدنيه من تحقيق ما يريده وما يشتهيه . مسكين الانسان . انه يشغل نفسه دائما بما يريد رغم انه سيخرج من هذا العالم وقد خلف وراءه كل ما يريده حتى وان حققه .. انه حقا عظمة هذا العالم ودعابته ! انه طفل الحياة الغرير .

انا وانت بدون رتوش

كنت اقرا كتاب (ما الانسان ؟) للكاتب الاميركي (مارك توين) ، وفيه تحليل الواقع الذي يحرك الانسان ليشترك في لعبة الحياة بكل قوته . ووقفت طويلا عند هذه الفقرة (ان هناك دافعا واحدا يتولى تحريك كل فرد للقيام بأي عمل هو الرغبة في ان يرضي نفسه .. فأعماله لا بد ان تحقق الخير له اولا وقبل كل شيء والا امتنع عن ادائها . وقد يعتقد انه انما يؤديها لصالح غيره .. ولكن الحقيقة غير ذلك فهو انما يرضي نفسه اولا ..)

(مارك توين) على حق فيما قاله . ان كل ما يقدم عليه الانسان ، يقدم عليه بدافع ذاتي . انه دواما يعمل مدفوعا برغبته في ان يرضي نفسه وهو يغلف محبته لذاته بغلاف جميل من المثل الطيبة .. اننا نغلف اهدافنا الانانية بأغلفة براقة نطلق عليها اسماء براقة ايضا .

تعال نفكر في هذا سويا ، لم يحب الناس العدل ؟ انهم يحبونه خوفا من ان يظلموا ..! لم نندم أن فعلنا الشر . هل كرها فيه ؟ اننا نندم خوفا من ان تلوث سمعتنا او لانه يحط من اعتبارنا لذواتنا ، وخوفا من شر يصيبنا بسبب الشر الذي اقترفناه . لم تقشعر ابداننا وتنخلع قلوبنا ان راينا شخصا يدهس تحت عجلات قطار او سيارة ، هل بدافع الرحمة والشفقة ؟ قد يبدو لنا هذا ولكننا في الحقيقة نشفق على انفسنا ونتصور مصيرنا المرعب لنا لو كنا نحن هذا الشخص المدهوس .

لم نقوم بأعمال بطولية ؟ او نضحي بأنفسنا في سبيل بعض القيم الطيبة ؟ لتمتدح بطولتنا وتخلد ذكرانا .

من نحب اكثر ؟ الذين يعجبون بنا ام الذين نعجب بهم ؟ الذين يعجبون بنا بدون شك لاننا نحب ذواتنا .

لم نعترف بالجميل ؟ لان المعروف شيء ارضانا

وافادنا . او لاننا نطمع في المزيد من صاحب الفضل .

ينكر الانسان دوافعه الحقيقية ولا يحب ان يفصح عنها . انه يفلسف اهدافه ويضفي عليها الوانا خلابة من القيم والمثل ، ويسيئه أن تعرى اهدافه هذه من اغلفتها الجميلة .. ان كل ما فعلته المثل الطيبة والقيم هو انها غلفت طبيعة الانسان بغلاف جميل .. ان طبيعة الانسان في تطوره لم تتغير . انها هي منذ أن خلق والفارق الوحيد هو ان الانسان البدائي كان يظهرها عارية كما كان يظهر هو عاري الجسم . وكل ما فعلته الحضارة هو انها كست جسده بالملابس وكست طبيعته بغلالة رقيقة من القيم الطيبة والمثل العليا .

الدافع الذي يحرك حياتنا

كل ما نعمله ، يدفعنا الى عمله الرغبة في الحصول على المتعة والسعادة .. ومن اجل المتعة وتجنب الالم نقدم على فعل الكثير مما نجد فيه انفسنا .

يضني الفنان والاديب نفسه ، يضحي براحته ونور عينيه ، يحرم نفسه من كل متع الحياة ، وقد يجوع وهو مغتبط وسعيد بما ينتج .. الدافع كامن في نفسه وفي اعماقه . الفنان الاصيل ينتج وليس في رأسه ان يفعل هذا من اجل الاخرين ، انه يصل ليله بنهاره ، ونهاره بليله وهو سعيد .. وساعات الخلق والابتكار عنده اسعد اوقاته .. انه يجد متعة لا تفوقها اية متعة اخرى في الانتاج ولا شيء غير هذا يسعده . والسبب انه يجد نفسه فيما ينتج ويشبع ميلا اصيلا فيه .

والانسان يقدم على فعل ما تريده منه الطبيعة لغاياتها الكبرى لانه يجد في هذه الغاية متعته .. ما كان يمكن ان تكون غايات الحياة العليا ملزمة وآمرة لو لم يجد فيها الانسان متعته .. تحزن المراة أن لم تحمل وتلد . ليس لانها تبغي المحافظة على الجنس البشري واستمراره ولكن لان اعماقها تريد طفلا ترعاه وتجد فيه كيانها وسعادتها .

اننا نحب الشيء ونجد في طلبه او عمله لاننا نجد انفسنا فيه وفي هذا يقول استاذنا البير اديب :

لم احببك يوما
بل احببت فيك نفسي
وانعكاسات رؤاي الحالمة
واعرف انك في خاطري .

لا يحرك حياتنا شيء اقوى من رؤية انفسنا فيما نقدم عليه من افعال وعلاقات وتحركات ويغالط من يقول غير هذا .. ولولا هذا الدافع لفقدت حياتنا الشيء الكثير من البهجة ولاصبحت مللا وفتورا وعبثا ..

مبدأ اللذة والسرور هو المحرك القوي الذي يجعل لحياتنا معنى وطعما ومذاقا .. وهو الباب الذي ندخل منه الى حياة ارحب واوسع ، بدونه يصيبنا الملل والفتور وعدم المبالاة . عندما نجد انفسنا في شيء نلج باب الحياة ونحن مشبعون بروح الحماسة وتنطلق قوانا الكامنة من عقالها .. نواجه كل معوقات الحياة بقوة ونستهين بكل الصعاب ونحطم كل الحواجز .. انه المفتاح السحري الذي نفتح به الابواب المغلقة . لا اخلاص ولا اتقان ولا تضحية ولا كفاح ولا صمود ولا حرارة في الحياة كلها الا بهذا الدافع الجبار ، به نستطيع ان نصل الى اسمى مراقي الحياة التي لا نستطيع الصعود اليها بالفتور والتفكير البارد. بدونه لا نستطيع ان ندخل الى عالم قوانا الكامنة التي تظل عاطلة حتى يطرقها هذا الحافز القوي الملتهب في اعماقنا المليئة بالقدرات والقوة والمواهب لا تعطي كنوزها الا اذا ايقظت المتعة ملكات الانتباه وغذتها بالحماسة وفي هذا يقول عالم النفس الكبير (ريجنالد وايلد) : (معظمنا ليس في الواقع الا جزءا من انفسنا ، اما البقية فنائمة ولم تدع الى حيز الوجود) . لن تستطيع الحياة ان تفصح عن ملكاتها ، عن كنوزها الدفينة بدون ان يوقظها ويحركها قانون المتعة .. بدونه نفقد حرارتنا وتصبح الحياة ركودا ومللا وكآبة خرساء ، تفقد كل ما يمكن ان يكون فيها من ضياء وبهجة ونشاط ، ويطمر كل ما نمتلك في ذواتنا من مصادر هائلة للقدرة والقوة .

قانون المتعة ضرورة حياة لازمة ليتسع افقنا وينمو عقلنا وتزداد تجاربنا ومعرفتنا وتنضج حياتنا وتسعد نفوسنا . انه القوة التي حركت وتحرك اعظم الرجال الذين قاموا ويقومون باعظم الاعمال واجل الخدمات للجنس البشري .. قاموا ويقومون بانجازاتهم العظيمة لانهم يجدون انفسهم فيها ويملكهم الاحساس بان كل سعادتهم في ان يشغلوا انفسهم بهموم البشرية ويسهموا في تخفيف آلامها وتخليصها من متاعبها وآلامها وامراضها ، وتيسير الحياة واسعاد الناس .. كل ما يثري حياتنا من فنون وآداب وكل ما يثري عقول البشرية وقلوبها مصدره المتعة التي يجدها الفنان والاديب والشاعر والرسام والعالم وغيرهم. كل هؤلاء انغمسوا بكل كيانهم وقلوبهم وجهدهم لانهم وجدوا انفسهم فيما يعملون . وجدوا متعتهم فيه ..

المتعة هي التي تحرك روحنا وجسدنا وتدفع فيهما قوة هائلة جبارة تستهين بكل ما يعترضنا في الطريق الى الغاية ..

غلطة زماننا اننا لا نربي القلوب

ليس دافع المتعة شرا وليس خيرا ، في ذاته .. نحن الذين نوجهه حسب نشأتنا وتفكيرنا وبيئتنا. اذا هذب هذا الدافع كان خيرا وبركة لنفوسنا وللبشرية ، وكان قوة ايجابية تخدم الروح والقيم وتنقي أعماقنا من كثير من رواسبها .. واذا انحط هذا الدافع بالنشأة السيئة والتكوين الرديء كان وبالا على الانسان نفسه وعلى مجتمعه .. وفي هذا يقول (كوكتو) : (غلطة زماننا اننا نفكر كثيرا ونترك مكانا صغيرا للقلب) . ويقول علماء

هي في حنايا القلب

لم ينسني طول البعاد غرامها	يوما ، ولم يطفىء لواعج حبها
كلا ، وما روي الغليل باكؤس	من ثغرها ، وانا اعيش بجنبها
سيظل جمر غرامها متوقدا	بجوانحي ، في بعدها ، او قربها
هي في حنايا القلب عائشة . فهل	لي من مكان في حنايا قلبها ؟

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

النفس والتربية : (ولدنا بعقل لا واع محكومين بمبدا السرور .. ولكن يتحتم علينا ان نظفر بعقل ناضج كبير تسيطر عليه اغراض ذكية ومثل عليا تستحق بذل الجهد في سبيلها) . عندما نربي القلوب نحصد متعة ناضجة قوية مثمرة .. ثمرتها الخير والجمال . ولكن المتعة المنحرفة ضعف وعلامة النشاة السيئة والاعماق التي لم تهذب .

تربية القلب يجب ان تتلازم مع تربية العقل .. ان العقل الذي فكر في القنبلة المهلكة وكل وسائل الدمار الاخرى هو عقل انسان لم يرب قلبه . وفي هذا يقول (باسكال) : (لا يتعلم الناس كيف يكونون شرفاء وهم يتعلمون كل ما عدا ذلك) . ويقول (برتراند راسل) : (التحسن الثابت الوحيد في شؤون البشر يكمن في زيادة مشاعر العطف والرحمة ونقص بعض المشاعر الهمجية والتوحش) .

انسان عصرنا يجعل من العلم وحده معبوده الاوحد .. والعلم وحده شيء خطير مريع ان لم ترب القلوب ، لا بد من تنمية المعايير الانسانية والقيم الروحية لتحكم شطحات العلم وطغيان المادة ولتهذب الوحش الكامن في الاعماق البشرية .. اننا لو ربينا القلوب كما نربي العقول لاختفى من بيننا اللصوص وسفاكو الدماء ومعكرو صفو البشر . ولاصبح للعالم قادة من نوع جديد تسيرهم قلوبهم ولا تحكمهم الانانية والمادية . بتربية الاحاسيس والمشاعر والارتقاء بها نصبح اسمى وارقى . اننا نعيش في العالم الذي تبنيه لنا قلوبنا وعقولنا معا .. والانسان الذي هذبت احاسيسه ونضج عقله ، لا يرتضي لنفسه ان يسلك المسلك البدائي وينحدر الى الهوة الهمجية . نحن كبار بقدر ما نحس ونعرف ونريد . وكلما كانت صورة ذاتنا المثالية اكثر حيوية احسسنا بالمتعة في النمو والنضج واحاسيس الجمال والخير ونما فينا الالتزام الخلقي الانساني الكامل . وجعلنا حياتنا هي الرسالة العظيمة التي نكرس لها جهادنا لتكون افضل واجمل . بالتربية السليمة والمعرفة والارادة الخيرة القوية نصل الى انسان افضل وعالم افضل نناضل فيه نضالا حضاريا نواجه به كل صور واشكال الضعف والقسوة لتكون لنا حياة وليكون لنا افضل .

القاهرة — ايليا حليم حنا

ذو الرمّة وصور من حياة الصحراء

بقلم الدكتور محمد سعد فشوان
الاستاذ المشارك في الكلية المتوسطة
بالجوف ـ المملكة العربية السعودية

* * *

قال ابو عمر بن العلاء مرة : ختم الشعر بذي الرمـة ، والرجز برؤبة .

وقال اخرى : شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل ، وابعار ظباء لها مشم في اول شمها ، ثم يعود الى ارواح البعر .

لان ابعار الظباء اول ما تشم توجد لها رائحة ما اكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب الريح ، فاذا ادمت شمه ذهبت تلك الرائحة ، ونقط العروس اذا غسلتها ذهبت .

وقال الاصمعي : ان شعر ذي الرمة حلو اول ما تسمعه ، فاذا كثر انشاده ضعف ولم يكن له حسن .

وقال حماد الراوية : امرؤ القيس احسن الجاهلية تشبيها ، وذو الرمة احسن الاسلام تشبيها ، وما اخر القوم ذكره الا لحداثة سنه ، وانهم حسدوه .

وسئل ذو الرمة : كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر؟ فقال : كيف ينقفل دوني وعندي مفاتحه ؟ قيل له : وعنه سألناك ، ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الاحباب . قال ابن رشيق : فهذا لانه عاشق ، ولعمري انه اذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فد ولج من اباب ، ووضع رجله في الركاب، على ان ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، وانما كان واصف اطلال ونادب اظعان ، وهو الذي اخرجه من طبقة الفحول ، يقصد الطبقة الاولى من فحول الاسلام (جرير والاخطل والفرزدق والراعي) فد وضعه محمد بن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من فحول الاسلام مع (البعيث المجاشعي ، وكثير ، والقطامي) .

وهكذا شغل ذو الرمة قارئي ومتلقي شعره قديما بالبحث والجدل ، واختلفت الاراء من حوله ، ولم يتمكن المتحاملون عليه من اسقاط شعره من ذاكرة الزمن ، بل شق شعره طريقه عبر الاجيال مخلدا ذكر هذا الشاعر الذي مات وهو ابن نصف الهرم ، اي الاربعين كما قال هو عن نفسه حين حضرته الوفاة .

ولم يكن التضارب حوله يقف عند هذا الحد بل تضاربت الاقوال في صفاته الخلقية والخلقية ايضا .

ومما يتصل بصفاته الخلقية والاراء المتضاربة حولها ما روي عن زرعة بن اذبول ، قال : كان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعر جعدها ، اقنى انزع ، خفيف العارضين ، اكحل حسن الضحك ، مفوها ، اذا كلمك كلمك ابلغ الناس ، يضع لسانه حيث يشاء .

وقال هارون بن الزيات : حدثني علي بن احمد الباهلي قال : حدثني ربيح النميري قال : اجتمع الناس مرة وتحلقوا على ذي الرمة ، وكان دميما شختا اجنا ، فقالت امه : اسمعوا الى شعره ولا تنظروا الى وجهه .

واما ما يتصل بصفاته الخلقية فنقرؤه في قول ابي معاوية الغلابي : كان ذو الرمة حسن الصلاة ، حسن الخشوع ، وكان يقول : ان العبد اذا قام بين يدي الله لحقيق ان يخشع .

وفي هذا الخبر : اجتمع اسحق بن سويد العدوي وذو الرمة في مجلس فأوتوا بالطعام فطعموا ، واوتوا بالنبيذ فشرب ذو الرمة ، وابى اسحاق بن سويد العدوي فقال ذو الرمة :

اما النبيذ فلا يذعرك شاربه — واحفظ ثيابك ممن يشرب الماءا
قوم يوارون عما في صدورهم — حتى اذا استمكنوا كانوا هم الداءا
مشمرين الى انصاف سوقهم — هم اللصوص وهم يدعون قراءا

فقال اسحاق بن سويد :

اما النبيذ فقد يزري بشاربه — ولن ترى شاربا ازرى به الماء
الماء فيه حياة الناس كلهم — وفي النبيذ اذا هاقرته الداء
يقال : هذا نبيذي يهاقره — فيه عن البر والخيرات ابطاء
وفيه ان قيل مهلا عن مصممه — وفيه عند كروب الاثم اغضاء

ولم ترد ابيات ذي الرمة السابقة في الديوان ، وهناك ملاحظة في البيت الاول من ابيات اسحاق ، اذ انني ارى ان الاصوب في البيت ان يقال :

اما النبيذ فقد ازرى بشاربه

لان « قد » حينئذ تكون للتحقيق ، ودخولها على الفعل المضارع ليس كذلك .

وبعد تلك المقدمة التي قد تتفق معي على انها طالت يطيب لي ان اعرض عليك صورا من حياة الصحراء كما عاشها هذا الشاعر الكبير ، وهي في الجانب الكبير منها صور حسية مجردة ، نقلها الشاعر كما رآها ، او كما وعتها ذاكرته دون ان يمزج فيها بين النظرة المجردة وما كانت تمور به نفسه من احاسيس ، وحسبه انه نجح في حمل القارىء والمتلقي على العيش في تلك الاجواء التي بسطت غلالتها على صحراء العرب الكبرى منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان او تزيد .

والشاعر في تلك الصور لم يعدم كل الادوات الفنية

التي تدخل في تشكيل الصورة ، بل بقي له من تلك الادوات خاصة اثبتها القدماء له هي خاصة التشبيه ، وقد كان بارعا فيه ، على ان النظير الذي كان يلتمسه لمشبهه لم يكن يحيا في عالم بعيد او غير منظور ، بل كان مما تقع عليه عينه ، او تعيه ذاكرته ، وانما تبقى مزية التشبيه عنده منحصرة في الطرافة ، والغرابة ، وفي تحسين الصورة او تقبيحها ، تاركا لقارىء شعره او متلقيه فرصة الابحار في قرار احاسيسه ومشاعره والسبح في سماء خياله كما يشتهي ، وكما يريد .

وكذلك نجح ذو الرمة في حشد الكثير من المؤثرات التي تدخل في تشكيل الصورة الشعرية عنده ، وان كنت ارى ان تلك المؤثرات التي اعنيها لن يدركها حق الادراك الا من عاش حياة الصحراء كما عاشها هذا الشاعر وسواه، بكل ما يجلل جوانبها من مظاهر تسم تلك الحياة بالغلظة والقسوة ، وأن لم تخل على الرغم من ذلك من لذة يدركها اهل الصحراء :

للبس عباءة وتقر عيني ... احب الي من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارياح فيه ... احب الي من قصر منيف
وبكر يتبع الاظعان صعب ... احب الي من بغل زفوف
وكلب ينبح الاضياف دوني ... احب الي من هز الدفوف (١)
وخرق من بني عمر نقيف ... احب الي من علج عنيف (٢)

نعم هكذا قالت ميسون بنت حميد بن بحدل الكلبية، وكانت من شواعر العرب تزوجها معاوية بن ابي سفيان ، ونقلها من البدو الى دمشق ، واسكنها قصرا من قصور الخلافة ، فكانت تكثر الحنين والتذكر لمسقط راسها ، وكان معاوية قد انصت عليها فسمعها تنشد هذه الابيات فطلقهـا .

* * *

انظر الى تلك اللقطة التي حشد فيها ذو الرمة الكثير من مشاهد الصحراء في الليل وفي النهار ، وما لهذا الحشد من اثر في زرع الاحساس بالخوف والرهبة في النفس ، والوحشة والغلظة ، والقسوة وغير ذلك :

وازور يمطو في بلاد عريضة ... تعاوى به ذؤبانه وثعالبه (٣)
الى كل ديار تعرفن شخصه ... من القفر حتى تقشعر ذوائبه
قطعت به ليلا على كور نضوة ... تعاطى زمامي تارة وتجاذبه (٤)
اذا زاحمت رعنا دعا فوقه الصدا ... دعاء الرويعي ضل في الليل صاحبه (٥)
اخو قفرة مستوحش ليس غيره ... ضعيف النداء اصحل الصوت لاغبه (٦)
تلوم يهياه بياه وقد مضى ... من الليل جوز واسبطرت كواكبه (٧)
وربطة خرق كالمقاب رفعتها ... وقد ركضت رصف الهجير جنادبه (٨)
وبيت بمهواة هتكت سماءه ... الى كوكب يزوي له الوجه شاربه (٩)
بمعقودة في نسع رحل تقلقلت ... الى الماء حتى انقد عنه طحالبه (١٠)
فجاءت بسجل طعمه من اجونه ... كما شاب للمورود بالبول شائبه (١١)
وجاءت بنسج من صناع ضعيفة ... ينوس كاخلاق الشفوف ذعالبه (١٢)
هي انتسجته وحدها او تعاونت ... على نسجه بين المثاب عناكبه (١٣)
هرقناه في بادي النشيئة داثر ... قديم بعهد الناس بقع نصائبه (١٤)

وهكذا يأبى الشاعر ان يسوق صوره في قوالب جامدة ، بل هيأ لتلك الصور من مظاهر الحركة ما جعلها تترك هذا الانطباع الغالب في عبوسها وتجهمها ، وبداءتها وغلظتها .

فمن المظاهر الصوتية : عواء الذؤبان والثعالب ، على ان صوت الثعلب يطلق عليه الضباح ، ولكنه ارتكز على خاصة « التغليب » عند البلاغيين .

وصوت البوم او ذكر البوم على انف الجبل الذي يشبه صوتا مبحوحا ونداء ضعيفا لرويعي ينشد ضالته في القفر الموحش بياه ويهياه ، وقد مضى من الليل نصفه ، وامتدت الكواكب للمغيب .

ومن المظاهر الحركية في الابيات : تلك الحركة التي احسها طويلا على رحل ناقته الهزيلة من مشقة السفر ووعثاء الطريق ، بينما يكون زمامها في حركة دائبة بين الشد والجذب : (تعاطي زمامي تارة وتجاذبه) .

وحركة الثوب الذي استظل به من لفح الهجير التي تشبه خفق الراية في مهب الريح ، في الوقت الذي تضرب الجنادب فيه الحصى الساخن بأرجلها .

وحركة الوجه الدالة على الامتعاض حين يقدم للمرء طعا م أو شراب لم ترتح نفسه له ، لفساده او تغيره .

وهذه الحركة السريعة للدلو في تحدرها نحو الماء ، وما احدثته من ازالة الطحاب على صفحته ، بعد ان طال به العهد وغاب الوراد .

ثم حركة خيوط العنكبوت في ضعفها وحركتها الهينة التي تشبه اطراف ثوب رقيق متمزق ، وقد تفننت في صنعها تلك الحشرات في مقام الساقي حيث يضع رجله على البئر .

وهذه الصور الحركية والصوتية قد اضفت على الصورة الكلية في اطارها العام كثيرا من الاحاسيس القوية الصادقة التي يستشعرها المرء حين يجتاز تلك المهامة الطامسة الاعلام .

* * *

كنت اود ايراد بعض الصور الصحراوية الاخرى في شعر ذي الرمة ، ولكن ضيق المقام يفرض علي الاكتفاء بهذا القدر ، على انني ادل القارىء على بعض تلك الصور ، مكتفيا بذكر ارقامها وارقام الصفحات المثبتة بها في الديوان ، تاركا له فرصة الابحار فيها ما يريد ، موفرا عليه جهد البحث عنها في هذا الديوان الكبير .

فمن تلك الصور ما ورد في الابيات : ٢٦ ـ ٣٠ ص ٨١ ، ٨٢ ، والابيات ١١ ـ ١٩ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، والابيات : ٣٩ ـ ٤٢ ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والابيات : ٥٦ ـ ٦١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، والابيات : ٣٣ ـ ٣٦ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، والابيات : ٥٣ ـ ٥٦ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، والابيات : ٣٩ ـ ٤٣ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، والابيات : ٣١ ـ ٣٤ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، والابيات : ٢٢ ـ ٢٨ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، والابيات : ٤١ ـ ٤٦ ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، والابيات : ٦٧ ـ ٧١ ص ٦٠٢

هموم

يستهلك الانسان بين همومه … عصر يفوق على التمزق اعصرا
في كل شيء للحياة مطالب … لو عاد ايوب لضاق تصبرا
كانوا اجتماعا ، والحياة رخيصة … فتفرقوا حيث «الغلاء» تسعرا
كل العصور على بساطة اهلها … ما شابهت عصرا حديثا مفترى

زمان

وانا في زمان من هموم … بدت تستهلك الطفل الصغيرا
كان الناس من ألم كهول … فلم تشهد بجانبهم طريرا
يطول نهارهم وهو انشغال … ويبقى الليل في صمت اسيرا
وكل في الحنين يريد ليلى … ولا يدري المسالك والمصيرا

العراق ـ الكوت

كاظم محمد حسين

٦٠٣ ، والابيات : ٣٠ ـ ٤٠ ص ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، والابيات : ١١ ـ ١٣ ص ٦٧٢ ، والابيات : ٤ ـ ٩ ص٦٧٩ ٦٨٠ ، ٦٨١ ، والابيات : ٣٢ ـ ٤٤ ص ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ وغيرها . (ديوان ذي الرمة تحقيق وشرح مطيع ببيلي الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق ، بيروت) .

---

١ ـ هكذا ورد البيت ، والصواب فيما يبدو : .. احب الي من هر اليف .

٢ ـ اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، عمر رضا كحالة ، ط ٤ ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م مؤسسة الرسالة ـ بيروت ص ١٣٦ ، ١٣٧ ـ ج ـ ٥ .

٣ ـ ازور : الطريق فيه عوج . يمطو : يمد . الذؤبان : جماعة الذئاب .

٤ ـ الكور : الرحل . النضو : البعير المهزول والانثى نضوة والجمع انضاء .

٥ ـ الرويعي : تصغير الراعي . الرعن : انف الجبل . الصدا : ذكر البوم .

٦ ـ اصحل : فيه بحة . اللاغب : المعيي . واللغوب : التعب والاعياء .

٧ ـ تلوم : تمكث وانتظر ، يعني الراعي . جوز : وسط . اسبطرت : امتدت للمغيب . يهياه وياه : صوت الراعي ينادي ضالته.

٨ ـ ريطة : يريد ثوبا استظل به . الخرق : الرجل الكريم . العقاب : الراية . الرصف : الحصى . الهجير : شدة حر الشمس. ركضته : ضربته الجنادب بارجلها .

٩ ـ يزوي : يقبض وجهه . المهواة : النفنف . اراد هنا ما بين اسفل البئر واعلاها وبالبيت : بيت العنكبوت . وكوكب الماء : معظمه. يريد ان الماء بعيد العهد بالناس .

١٠ ـ معقودة : يعني سفرة استقى بها . تقلقلت : اسرعت في الانحدار . النسع : سير يضفر على هيئة اعنة النعال تشد به الرحال. الطحالب : الخضرة على وجه الماء .

١١ ـ السجل : الدلو فيها ماء . الاجون : تغير الماء . المورود : المحموم . الشائب : الذي يخلط الشيء بالشيء . والمشوب : المخلوط.

١٢ ـ صناع : حاذقة بالعمل يعني العنكبوت . ينوس : يتحرك. الثعالب : ما تمزق من الثوب .

١٣ ـ المثاب : مقام الساقي حيث يضع رجله .

١٤ ـ هرقناه : صببناه ، واراد : ارقناه . بادي النشيئة : يعني حوضا . النصائب : ما انصب من الحجارة حول الحوض . وبقع من ذرق الحمام

الجوف ـ السعودية

محمد سعد فشوان

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(۱)

الف ـ مجلة البلاغة المقارنة ، سنوية ، يصدرها قسم الادب الانجليزي والمقارن في الجامعة الامريكية بالقاهرة ص.ب ۲٥۱۱ ـ العدد الثاني ـ ربيع ۱۹۸۲ ـ خاص بالنقد والطليعة الادبية

۱ ـ كنت في القاهرة حين صدر العدد ، فبحثت عن الاول فما وجدته . ووعدني مدبولي فما وفى ! وعذره الاجازة .

۲ ـ « البلاغة » في العنوان لا تعني الدلالة التقليدية للمصطلح ، وانما تعني متابعة للدعوة الجديدة باحلال اللفظة محل « الادب » او « النقد » او نظريات علم الجمال احيانا .

۳ ـ الموضوع الذي كتبه حسن حنفي بعنوان « مدرسة الاشكال الادبية » يلعب على الالفاظ . فما المقصود بالاشكال الادبية ؟ يتبادر الى الذهن : الشعر والنثر ، الملحمة والقصيدة الوجدانية، والقصة والمسرحية؟ ام ماذا ؟ اي شيء اخر له علاقة بالادب الذي هو فن التعبير جماليا بالالفاظ .. ولكنك تقرأ وتقرأ فلا تجد اثرا لتصورك ، ولا ادل على ذلك من السطر الاول للبحث : « نشأت مدرسة تاريخ الاشكال الادبية في العشرينات من هذا القرن .. » والذي في ذهنك نشأ قبل الميلاد بقرون . الخلاصة ان البحث يقوم على ما توصل اليه المحققون في المقابلة بين الاناجيل الاربعة ! مسألة نقد تحقيقي ، مسألة تحقيق ، ويقتضي المنهج العلمي الدقة في عنوان البحث ووضوح الدلالة على المحتوى ـ استغرق البحث (۲٥) صفحة وهو جيد في بابه .

٤ ـ في العدد : « اهمية النسخة الخاصة بعبد الرحمن شكري من ديوان ازهار الشر » ـ عبد المحسن بدر عرض فيها الباحث لما علق عليه شكري من نسخة مترجمة الى الانكليزية من ديوان بودلير .

واهمية هذا العرض انه يبين لنا مصدرا مهما من مصادر ما عرف بجماعة « الديوان » ، وكنا نحسب مصادرهم الرومانتيكية الانكليزية شعرا وندا ، وربما وقفنا عند ذلك الحسبان .

وسؤال خارج الصدد : لم بقيت رسالة الماجستير التي عملها عبد المحسن طه بدر مخطوطة حتى الان ؟ عنوان الرسالة : التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث .

٥ ـ وفي العدد « حوار مع ادوار الخراط » جاء في مقدمته : « ادوار الخراط واحد من الكتاب القلائل الذين ساهمت كتاباتهم في صياغة حساسية فنية جديدة ، وفي تأسيس مستوى من الابداع والمعالجة والمغامرة الادبية يؤدي مجرد وجوده الى تغيير المعايير النقدية السائدة والى اراقة الكثير من الشك على المسلمات المطروحة في الساحة الادبية (...) لان ادوار الخراط يطرح في اعماله الابداعية وكتاباته النقدية على السواء تصورا جديدا لعملية الكتابة وبالتالي لمفهوم الفن ودور الكاتب .

وهذا التصور الجديد الذي يواجهنا منذ مجموعته الاولى « حيطان عالية » عام ۱۹٥۸ حتى مجموعته الاخيرة « اختناقات العشق والصباح » ۱۹۷۹ ليس تصورا (استاتيكيا) ثابتا ، ولكنه تصور فعال (ديناميكي) .. »

لـ ايكون لادوار الخراط هذا الخطر الكبير ولم نر آثاره ؟ اقل ما يقال في هذا الكلام انه مبالغ فيه ومغالى . وقد كتب لي ـ او علي ـ ان اقرا للخراط « حيطان عالية » فما وجدت شيئا منه ، انها عمل ممل ، لا يكاد يبلغ المتوسط . ثم قرات « ساعات الصمت » فما كانت خيرا من « حيطان عالية » . ان العملين لا يحتلان شيئا مما ذهب اليه « الحوار » في عالم الابداع ـ ان الابداع كلمة غير اعتيادية ويجب ان تبقى في منأى عن الابتذال !

ب ـ سألت في القاهرة عن « اختناقات العشق والصباح ۱۹۷۹ » فما وجدته في مكتبة اهلية او رسمية وما احسست ان الذين اسألهم ـ بمن فيهم مدبولي ـ قد سمع بالخراط او عرفه . وكان منهج البحث يقضي على المحاورة ان تذكر الدار الذي نشرته ـ اذا ـ لرجعت الى تلك الدار .

٦ ـ في العدد تعريف بكتابه . ذكر الدكتور عبدالمحسن بدر خمسة كتب مطبوعة ، مما يثير السؤال مجددا عن السبب في بقاء رسالة الماجستير مخطوطة . وذكر لصبري حافظ ثلاثة كتب ولكنه نسي او تناسى كتابا له عن عبد الوهاب البياتي ! اغير رايه في الشخص الذي كان يراه كبيرا ام تغير الظرف ؟

اما كاتب البحث الذي لا يدل عنوانه على فحواه فهو

« استاذ بقسم الفلسفة » ولهذا فلا نستغرب بعد « اشكاله الادبية » عن الاشكال الادبية .. وعن الادب نفسه . بقي ان نعلم ان « التحقيق » وجد قبل الاناجيل نفسها ، ولنتذكر مدرسة الاسكندرية وما عملت للالياذة والاوديسة.

ولئلا ابدو ظالما للخراط ومحاوره اذكر مما جاء في التعريف به : « وقد ترجمت بعض اعماله الى الانجليزية والفرنسية والالمانية واليونانية والروسية واليابانية » .

(٢)

مع المذيعين في لغتهم

الخطأ في الجار والمجرور والصفة والموصوف ..ليس مهما اذا كان عن اضطراب او سبق لسان او استهانة باللغة (؟!)

ولكن الى اي سبب يمكن ان نعزو جهل المذيع الفرق بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ؟ وادخال (أل) على المضاف ، وفتح ياء المضارعة في الفعل الرباعي ؟ وفتح همزة ان بعد قال يقول ..؟! وقد تسمع عزيزي المستمع بفتح الميم قبل العين بدل كسرها وجوبا ، وتسمع المتوفي بكسر الفاء بدل المتوفى بفتحها وجوبا . وتسمع اجتمع اليه بدلا من اجتمع به او معه . وتسمع عجائب اخرى قد نعود اليها لعودتها المتكررة الينا ؟ اما سمعت مذيعا متمرسا يقرا مطمئنا : رجع القهقرى : رجع القهقري بالياء !!

الهم كبير ، والفتق اوسع من ان يرقع ، والفائت ابعد من ان يستدرك !

قلت مرة يخطىء المذيعون (كلهم) اذ يضمون حرف الثاء الاولى من يوم الثلاثاء لانها مفتوحة . ولم يكن غريبا ان يستمر الخطأ لان المذيع لا يقرا . ولكن الغريب اني سمعت بعد ذلك الاربعاء بضم الباء (!) ثم سمعتها بضم الهمزة والباء (!!) ويبدو ان المذيع لا يقرأ ، يسمع الخطأ فقط ، فلقد رددت الخطأ الفظيع اذاعة اخرى (!!!) . كما سمعنا سعودي بفتح السين بدل ضمها ؟!

وانا افهم ان المصري حين يتكلم عاميا في حياته اليومية يلفظ الجيم (كيما) على مقتضى لهجته ، ولكن ما باله يلفظه عاميا لدى كلامه الفصيح !! وعندما يكون اديبا !! وعندما يكون موظفا في اذاعة غير مصرية !!! وعندما يروي حديثا نبويا يأتي فيه « يوم الجمعة » كما لو كان مرويا بلهجة اهل القاهرة !!! ثم انهم يؤلفون روايات تاريخية فاذا العرب كلهم الجاهلي منهم والاسلامي : عنترة وخالد ابن الوليد يرجعون بجيمهم الى لهجة القاهرة !!! – ان هذا غير معقول ايها السيدات والسادة ، والا فلكل قطر عربي لهجته اليومية ونمطه في تغليب الحروف ، والعامية عامية ولغة القرآن لغة القرآن . ونعود الى اخواننا في القاهرة . ويمكنك ان تلحق الجيم بالازباب اذ يقلبون السين زايا ، والمصرحية ، اذ يجعلون السين صادا . والمسقفون اذ يقلبون الثاء سينا وفي هذه الاسناء يريدون الاثناء . لا ، وهذا غير معقول ايضا ، ويجب ان يقف عند حد ، ويحسن باخواننا ابناء الكنانة ، ان يبذلوا شيئا من الجهد ، ويدركوا جانبا من الخطر .

اما اخواننا في الكويت فيفضلون اذاعة درجات الحرارة بالعامية : سبع تعش .. ولكنهم لا يسمحون لانفسهم بقلب الجيم ياء في نشرة الاخبار والاحاديث والاشعار وسورة الحجرات .

(٣)

الادب العربي المعاصر في الجزيرة العربية – القسم الاول (الشعر في شرقي الجزيرة) – الدكتور عبد الله آل مبارك – مدرس الادب العربي المعاصر بكلية الاداب – جامعة الرياض ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٣ – ١١١ ص

١ – كان في عزم المؤلف ان يصدر اربع حلقات اخرى: عن الادب في شرقي الجزيرة ، في قلب الجزيرة . في الحجاز. في جنوب الجزيرة – ولكنه لم يفعل . ويا حبذا لو حقق مشروعه .

٢ – ص ٩ : جرجس زيدان : جرجي – والخطأ مطبعي .

٣ – ص ٦١ « علي بن المقرب بن منصور بن مقرب العيوني عاش ما بين ٥٧٦ هـ ١١٧٦ م وسنة ٦٧٩ هـ ١٢٣١ م .. ذهب جواب آفاق .. في الخليج والعراق ومصر .. »

اشك انه سافر الى مصر . ولم اجد في اخباره ما يذكر سفره الى مصر .. وربما كان ابعد ما بلغ: الموصل .

٤ – يحتفظ الدكتور آل مبارك بمجاميع لشعراء محدثين ما زالت مخطوطة . يا حبذا لو سعى في طبعها او طبع مختارات منها – تنظر ص ٢٦ ، ٣٥ .

٥ – ص ٣٤ « عبد الرحمن بن قاسم المعاودة .. ديوانه الفطريات »

الصحيح : « القطريات » بالقاف المفتوحة نسبة الى دولة قطر – والخطأ مطبعي .

(٤)

امارة الشارقة تاليف محمود بهجت سنان ، بغداد ، وزارة الثقافة ١٩٦٧ – ١٠٣ ص + ٤

١ – « حملة بحرية بقيادة الجنرال وليام جرانت كير (Evan Nepan)

الكلمتان الانكليزيتان لا تعودان للاسم السابق عليهما

٢ – ص ٣٤ « توثيق الصلاة » : توثيق الصلات .

٣ – ص ٨٣ «ان للدولة كلها مشرف خاص للتعليم »: ان للدولة مشرفا خاصا بالتعليم .

٤ – من اهمية الكتاب ان المؤلف زار الشارقة وتحدث عنها وعما رأى وسمع فبحثه ميداني – تنظر ص ٦ ، ١٤ .

٥ – للمؤلف كتاب اخر عنوانه « أبو ظبي » ، بغداد، مطبعة دار البصري ١٣٨٩ – ١٩٦٩ – ٢٥٢ ص + خوارط وكان يريد بذلك ان يؤلف « سلسلة الساحل المهادن » : امارات الساحل المهادن . ولكنه لم يصدر الا هاتين الحلقتين ، واشار الى « تاريخ امارة دبي – مخطوط » . كان ذلك قبل قيام « دولة الامارات العربية المتحدة » .

ويذكر ان للمؤلف قبل ذلك « الكويت زهرة الخليج العربي » و « البحرين لؤلؤة الخليج العربي » وهو عسكري بدرجة زعيم وعميد .. ويشير الى ان له تحت الطبع : تاريخ مسقط وعمان ، والجغرافية التاريخية للخليج العربي ، مخطوط .

وله كذلك : تاريخ قطر العام ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٦ – ٣٠٤ ص ، صور + خارطة . جاء فيه ص ٩ « ضحول المعلومات » والمألوف ان نقول : ضحالة . والفعل ضحل اي قل . اما الضحولة فهي جمع لضحل (بسكون الحاء) .

(٥)

ديوان « درر المعاني في مدح آل ثاني » – (مجموعة من القصائد لعدد من الشعراء) ، اعداد دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة ، قطر – ٢٨٤ ص + ٨ (د.ت)

١ المقدمة « شعرية » بتوقيع « عبد المجيد محمد الخفاجي » .

٢ – آل ثاني معروفون . هم حكام دولة قطر . والغرض واضح . ومن القاب الشعراء الذين ترد قصائدهم هنا : شاعر قطر : احمد بن يوسف الجابر ، شاعر القصر : عبد الرحمن المعاودة . شاعر الحاكم : عبد المجيد محمد الخفاجي . وللشاعر منهم عدة قصائد ، وكذلك للاخرين : محمود شعبان ، احمد يوسف حمود ، محمد شريف الشيباني ، فرحان سلام .. ومنهم من له قصيدة واحدة او قصيدتان ..

٣ – ليس هذا الكتاب (الديوان) الوحيد الذي له هذا العنوان (درر المعاني ..) فهناك كتاب اخر له العنوان نفسه ، والشارحة (مجموعة ..) نفسها . اعداد محمود شعبان . القاهرة ، مطابع كوستاتسوماس – ١٥ ، ١٧ – ٤٤١ + ١٠ د.ت (قبل ١٩٥٨) ، يأتي ضعف الديوان الاول ، ويتكرر فيه كثير من الشعراء اما القصائد فمنها ومنها ، مع شعراء جدد والمعاني واحدة، والشعراء يلاحقون المناسبات بين سفر وحضر وصحة وشفاء ، ومن اكثرهم ملاحقة محمود شعبان . ويفهم من أبيات له انه مصري ، يكثر الوفادة على آل ثاني ، ويسير في معيتهم ، الشعر كثير كما ترى ولكنه لا يخرج عن تكرار المعاني العامة في النسب والكرم والعدالة ..

ومن الباحثين من يذكر ان « درر المعاني » .. اربعة اجزاء ط . مؤسسة العروبة – قطر .

(٦)

عبد الرحمن المعاودة – القطريات – منشورات المكتب الاسلامي – وفي العنوان الداخلي : القطريات مجموعة شعرية . الجزء الثاني ١٣٨٤ – ١٩٦٤ – ٥٠ ص – ٥٢ . والمكتب فرعان : دمشق وبيروت ، وصاحبه محمد زهير الشاويش

١ – الشاعر بحريني يعيش في قطر ، الجزء قائم على مدح الشيخ علي آل ثاني ونجله الشيخ احمد .

٢ – ص ٤٥ :

اينعت كالزهر فواح الشذى عبقا   وانت اصبحت ضخما سيدا سامي

الصحيح : الشذا . ومثلها ص ٣٣ .

٣ – ص ١٧ « وعهعد زهي » ، « يزهو بك القطر » ، ص ٢٩ « بك الدار تزهو » وتنظر ص ٦١ ، ١٣١ في القاموس : « وقد زهي – بضم الزاي وكسر الهاء ثم ياء – كعني وكدعا قليلة » .

وفي مختار الصحاح مثله وزاد « وحكى ابن دريد (زها) يزهو (زهوا) اي تكبر » وهو ما لا يريده الشاعر .

٤ – ص ٤٩ :

.. حنانيك ان ولي الشباب فانما   اعاد (علي) من شبابي نائله
كفى باسمه فخرا كفى ببهائه   سناء كفانا عزه وجلائله

وردت (علي) بياء مفتوحة وكأن (على) حرف الجر . والمناسب ان تكون (علي) بضمتين فاعل و (علي) اسم الشيخ الممدوح . وكأنه اراد بـ « جلائله » جمعا لجلال الذي هو من سياق العز ؟

٥ – يرد للمعاودة – كما سنرى – كتاب اخر اسمه « دوحة البلابل » وتحت الاسم (القطريات – الجزء الثاني) المؤلف واحد ولكن هذا الجزء الثاني غير ذاك الجزء الثاني وان كان في المدح ايضا .

دوحة البلابل – عبد الرحمن قاسم المعاودة – القطريات – الجزء الثاني – بيروت – دار الثقافة ١٣٧٩ – ١٩٦٠ – ١٧٦ ص – مقدمة الديوان هي مدح لآل ثاني – « بقلم شيخ ادباء لبنان مارون بك عبود » .

وفيه ص ١٢١ :

ودمت بالمجد والانجال قاطبة   و (آل ثاني) ودام الشعب في جدل

وفي الكلمة خطأ يرجع الى عجائب المطابع ، والصحيح في جذل .

وفيه ص ١٤٢ :

ارقت ومثلي ان سجى الليل يارق   فلا عجب والقلب بالحب يخفق

رسم « سجى » على القاعدة القرآنية : « والليل اذا سجى .. » والا فهي سجا يسجو .

كلاهما يكون الجزء الثاني من القطريات ولكنك لا تجد قصيدة واحدة تتكرر فيهما ، ولذا وجب التمييز بسنة الطبع او بالاحالة على مطبوع دار الثقافة ١٩٦٠ باسمه : دوحة البلابل .

والمعاودة قبل ان يكون في قطر بظل آل ثاني ، بحريني

ذو شعر وطني له فيه ديوان : « لسان الحال » .

(٧)

جاسم حسن شبر ـ تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم ـ النجف ، مطبعة الاداب ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ ، ٣٥٤ ص

١ ـ كتاب قيم في بابه ، يعرف بدولة عربية (في عربستان) مجهولة للكثيرين ، فيما لها وعليها .

٢ ـ بين مصادر المؤلف ما هو مخطوط ، يا حبذا لو طبع الضروري منه وقد يطبع مخطوط «تاريخ المشعشعين» للسيد علي بن عبد الله . بين

٣ ـ ذكر بين المخطوطات « تاريخ الغياثي » لعبد الله ابن فتح الله البغدادي ـ وقد كان مخطوطا فعلا ، ثم طبع (الموجود منه) في بغداد .

٤ ـ ذكر بين مصادره المطبوعة : « زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر » للشيخ فتح الله بن علوان ـ ص٣١٥ وذكره كذلك في ذيل ص ١٠٥ « ذكر فتح الله بن علوان الكعبي المولود سنة ١٠٥٣ في كتابه « زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر » ، وكذلك ص ١٠٩ .

ولا تستقيم كلمة « لهنة » . والاولى ان تكون «لهفة» ويبقى الخطأ مطبعيا . وهذا ما يؤيده « فهرست المطبوعات العراقية » للاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ٢/٤٤٩ :

« زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا بن افراسياب حاكم البصرة ـ فتح الله بن علوان الكعبي ، تحقيق خلف شوقي امين الداودي (ت ١٩٣٩) بغداد ، مط. الفرات ١٩٢٤ ، ٥٦ ص » ـ هكذا حسبت الامر ولكن تكرار رواية العنوان بلهنة في مصادر اخرى اثار شكي ، فرجعت الى القاموس فاذا هو يقول : « اللهنة : بالضم ما يهديه المسافر » فصحت رواية السيد شبر . وبطل التصحيح .

(٨)

هند سلامة ـ الى اين تسير القافلة ، بيروت ، دار الشمالي للطباعة ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠ ـ ١٢٨ ص ـ انيقة مصورة

١ ـ تأخذ المؤلفة لهجة الداعية المعجب ، فيرى القارىء في كلامها قصدا الى المبالغة !

٢ ـ في الكتاب فوائد تاريخية ، منها مسالة «الزبارة» بين البحرين وقطر ص ٣٤ ـ ٤٥ .

٣ ـ اتخذت مقدمة مارون عبود لدوحة البلابل في الثناء على آل ثاني حجة ووسيلة لثناء جديد ، ومادة للكلام على المعاودة .

٤ ـ في الكتاب فصل عن « الادب في قطر » ص ٦٥ ـ ٧٧ ولكن المؤلفة لم تتكلم على غير المعروف من امر « المعاودة » .

٥ ـ ص ٣٤ قطر « منتزعة منطقة « الزبارة » للبحرين » . الصحيح : من البحرين .

٦ ـ استعملت ص ٣٦ « اخصام » جمعا لخصم ، فلم تستعمل « خصوم » . وقالت « برئسان وبرئسهم » والاستعمال لبناني صحفي خطأ صحيحه : برأسان ، برأسهم . وقالت ص ٣٨ « نشب خلاف » بفتح الشين والصحيح كسرها . وقالت ص ٥٠ « يطفي » بالياء والصحيح يطفى بالالف .

(٩)

مفاتيح الادب الناقد الفرنسي جان تورتال ، ترجمة حسناء الطرابلسي . نشر في كتاب العدد بمجلة الثقافة الاجنبية ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، صيف ١٩٨٢ ، ص ص ١٦٩ ـ ١٩٥ ، حجم كبير . فصوله : مفهوم عالمي ، مختارات ، كلام مختص ، العمل الادبي واستقلاله

١ ـ العنوان الاصلي CLEFS pour la LITTERATURE وترجمته الادق : مفاتيح الى الادب ، او للادب .

٢ ـ اسم المؤلف Jean Tortel والرسم الاصوب : جان تورتل .

٣ ـ لم يترجم الكتاب كاملا ، وانما ترجم منه اربعة فصول (او اربع فقرات) تستغرق من الاصل (٤٢) صفحة واذا علمنا ان الاصل ، اي الكتاب كاملا في ١٦٨ صفحة علمنا ان الباقي ، الذي لم يترجم ، ١٢٦ صفحة اي ان الذي ترجم هو ثلث الكتاب : اربع فقرات من اصل تسع .

الفقرات التي لم تترجم هي : قدماء ومحدثون . الكاتب والعصر . الادب في تاريخه ، من الكهوف الى الشاشة . خاتمة .

٤ ـ قد يكون من النافع ان نذكر ان الكتاب صدر سنة ١٩٧١ في باريس ، عن دار سيكر في سلسلة « مفاتيح » .

(١٠)

مختارات من الشعر الرومانتيكي الانكليزي . اختارها وترجمها وعلق عليها : د. عبد الوهاب المسيري ، ومحمد علي زايد ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٩ ، الطبعة الاولى ، ٣٧٣ ص

١ ـ يبدأ بمقدمة عن اهمية الترجمة وقد جاء فيها « ولعل الحركة الصهيونية ذاتها (تماما مثل النازية) قد اشتقت بعضا من موضوعاتها الاساسية من الحركة الرومانتيكية .. » ! وجاء في ختامها « هذا وقد قامت احدى المؤسسات الحكومية الثقافية بتكليفنا باعداد هذا الكتاب ، وحينما انتهينا منه احجمت المؤسسة عن نشره بحجة انها لن « تحقق » اية ارباح مالية ، وكأن الوظيفة الاساسية للمؤسسات الثقافية في بلادنا هي مضاعفة راسمالها وكأن الاستثمار الوحيد النافع في بلادنا هو الاستثمار الذي له عائد مالي سريع ومباشر ، وقد قام الدكتور عبد الوهاب الكيالي ، وهو ناشر خاص ، باصدار الكتاب فله منا الشكر والتقدير ـ المترجمان » .

تباريح

اتتني بوجه كبدر اكتمال ... ولكن بدا لي بعض اعتلال
فقلت .. اسائل عما .. بها ... من الوجد ام من فنون الدلال
فقالت .. اصبت من الوجد ما ... يدك شموخ الذرا والجبال
وما بي دلال ... ولكنها ... تباريح هذا الغرام الحلال
فما من لقاء لنا يرتجى ... على الرغم من زفرات الليال
وما كحبيبي رات قط عيني ... بمجد ونبل .. يبز الرجال
لقد كنت قبل التقائي به ... اعيش ولكن بغير احتفال
وليس هنالك من حيرتي ... وعلم بحالي .. اقل احتمال
فقلت .. صفيه .. ولا تجزعي ... فقالت .. جمال يفوق الجمال
ارى النجم اقرب من قربه ... وقد ينفد العمر دون اتصال
وكان التعارف في نظرة ... تمليت منه وكلي ابتهال
وقد ملأ العين مني وما ... تريث الا كطيف الخيال
ومن ها هنا صار لي شاغلا ... فمن نظرة كان بدء اشتعال
غرام لعمري غزا .. قلبها ... ليكمن فيه لوخز النصال
فهل من سبيل الى برئها ... بشهد التداني .. محال.. محال
فقد صاغها الله اعجوبة ... بروح تشف باسمى الجلال
واسبغ من نوره آية ... عليها بحسن بديع المثال
تفنن فيه .. وان صانه ... ونزهه برفيع .. الخلال

مصر الجديدة ... نعمت عامر

يفهم من كلام الاستاذين الفاضلين ان كتابهما هذا ينشر هنا لاول مرة .. وليس لكلامهما نصيب من الصحة، فقد نشر من قبل اي سنة ١٩٦٤ بعنوان « الرومانتيكية في الادب الانجليزي » ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري ومحمد علي زيد ،راجعه الدكتور مصطفى بدوي ومحمود محمود . القاهرة ، الالف كتاب ٥١٥، تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، باشراف الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، دار شوشة للطباعة ــ ٣٧٩ ص .

٢ ــ يأتي بعد المقدمة : الدراسات التاريخية : الرومانتيكية بقلم هارولد م. مارش ، الاطار الاجتماعي بقلم ادجل ريكورد . السمات الاساسية للادب في الفترة ما بين بليك الى بيرون بقلم د. و. هاردنج .

ويأتي بعد الدراسات التاريخية، القصائد والدراسات النقدية وسير الشعراء : توماس جراي . وليم بليك . وليم وردزورث . صمويل بتلر كولردج . السير والتر سكوت . جون كيتس . جورج جوردون بيرون . بيرسي بيش شللي .

هذا ما جاء في ط . بيروت ، وهو هو ما جاء في ط. القاهرة من قبل مع فوارق طفيفة، لولا احترامي الاستاذين الفاضلين لقلت تمويهية . وقد كانت المقدمة اكثر علمية ، والدراسات التاريخية الاربع هي هي . والشعراء هم هم مع تغيير في التسلسل ، فقد جاءوا هكذا : ورد زورث ، كولريدج ، وليم بليك ، شللي ، كيتس ، بيرون ، سكوت ، مع زيادة عشر صفحات لجراي . وشبيه بهذه التغييرات « الطفيفة » جرت في « القصائد » تقديما وتأخيرا وما اشبه .

لا شك في الجهد المبذول للترجمة ، ولكن لم التعفية على ان يكون الكتاب قد طبع من قبل ؟ اما كان ــ في الاقل ــ كتابة المقدمة الجديدة من غير نص على انكار وقوع الطبعة السابقة ؟! ومع هذا لم ؟ واين العلم والروح الجامعي ؟ لم؟

بغداد ــ الجادرية ... علي جواد الطاهر

وداد سكاكيني أديبة القطرين

بقلم منور فوال

* * *

مما لا شك فيه ان العاملين في دنيا الادب لا يخفى عليهم اسم الكاتبة الكبيرة السيدة وداد سكاكيني ، فهي الاديبة التي عاشت في هذا الميدان منذ ان شبت عن الطوق في ارض لبنان ، وتدرجت في معارج الشباب في ارض بردى الخالد – دمشق – وعلى ضفاف النيل العظيم والى يومنا هذا ما تزال تعطي الكثير من فيض احساسها في جمال الصور ، ورشاقة البيان ..

وان الذي عرف الكاتبة عن قرب عرف فيها الشخصية المميزة الجادة التي تحسن انتقاء البحث . وتعالجه باسلوب قوي البنيان ، فهي ذات قلم منمق اللفظ ، رشيق العبارة ، عميق الفكر ، جذاب الملامح ، تحس من خلاله ان صاحبته ثرية الثقافة تتناول موضوعاتها باحساس الفنان المدرب القدير الذي يقدم مادته باسلوب مملوء بأصداف براقة ، سلسة المعنى ،عميقة المضمون ، ولقد اجمع أكثر النقاد الذين تناولوا ابحاثها الادبية بالتحليل بان السيدة الكاتبة تميزت مقالاتها الادبية بالبحث والمنطق، كذلك قصصها وابحاثها ، وان الذي يسبر اغوار قصصها يجد ان كل شخصياتها هادفة . فلا تخلو شخصية من شيء معين تسير اليه وفق خط بياني مرسوم ، وان كانت تخالف القاعدة المذهبية ، الفن للفن ، فالمهم ان الشخصية ليست مستسلمة لانواء القدر ، بل ان الهدف عندها اولا واخيرا . والمضمون اساس الفن فلا فن بدون مضمون ، ولقد وجدنا في كل مجموعاتها القصصية لمحات انسانية هادفة تعيش بيننا ، وتحمل الكثير من مشاكلنا الحياتية التي تتكرر بل تتجدد مع توالي الايام والسنين . ولقد اتسمت قصص السيدة الكاتبة بسمة البيئة المصرية والسورية معا . واستطاعت ان تصور هذه البيئة بصدق ابنائها ولهجتهم ونوادرهم حتى ليحس القارىء ان الكاتبة مصرية قلبا وقالبا ، كذلك تمكنت ان تصور البيئة السورية (موطنها) بنفس الصدق . ولذا فهي اقدر من صور مجتمع القطرين بقدرة فائقة تدل دلالة واضحة على ان الكاتبة تملك رصيدا كبيرا من القوة الادبية ولقد زاملت الكاتبة عباقرة الفكر في العالم العربي . وفي مصر بالذات اسهمت بكثير من انتاجها الفكري في امهات الصحافة الادبية . وكان لقلمها وزنه الكبير ، وقدرة المميز ، ولابحاثها مكان الصدارة ، ولقد تبنت اديبتنا الكبيرة المقال النقدي. ولها جولات وصولات معروفة مع كبار الادباء . فالبعض اخذ عليها صلابة النقد وشدته . والبعض الاخر وضعها في مكانها الثابت من النقد النزيه الواعي .. فهي ان كتبت مقالا فلا بد ان يكون صادقا في مبناه ومعناه . لم تجنح لمديح زائف ولا مجاملة على حساب الكلمة وقدسيتها . ولذا تقاطر حولها ثلة من الحاقدين الذين لا هم لهم الا ان يعبثوا في قدرات الجادين المخلصين للادب . وهذا الفن الرائع العظيم ، وكانت كاتبتنا تظفر بكل معركة تخوضها على سفود النقد .

في كتابها (سواد في بياض) تناولت الكاتبة الادب المكشوف ووصفته وصفا دقيقا وابانت شره على الادب وفنونه اذ قالت : ان كل واقعية بمعناها ومبناها تؤذي الاحساس بالجمال والحقيقة ولا بد في تصويرها من تخفيف حدتها والتلطف بالتعبير عنها كما يقتضي الفن ، وان قطعة من جذع شجرة تمثل شكلها ونوعها لا تدخل هيكل الفن الا بعد ان تعمل فيها يد صانع ماهر يتخذ منها تمثالا او آنية . وان الكلمة قد تكون كاسية دالة وان تكون متعرية مثل الانسان والاشجار .

بهذا التعبير دعت الكاتبة على وجوب ان يكون الادب مستورا محافظا على فنه . وفي مقالة (المسرحية بعد شوقي) استعرضت الكاتبة نشوء المسرحية في دنيا ادبنا الحديث والذي كان شوقي اول من عالجها وقدمها للمسرح العربي مستندا على دراساته لفن المسرح وما يحتاج من امكانيات متينة . ولقد نجحت مسرحيات شوقي وان لم تخل صورها من النقد . ومات رائد المسرح وعاشت ثمراته فوق خشبته تخلد اسمه كما ستخلد سواه من الذين استهواهم المسرح وجذب احساسهم . فكان توفيق الحكيم وعزيز اباظة وقد قدم كل منهما عصارة فنه للمسرح حتى عاشت المسرحية الى هذا اليوم . كذلك دعت الكاتبة في مقالة لها (حول الادب الحديث) الادباء الى التكاتف والنهوض بالادب نهضة تمثل العهد الجديد الذي نعيش واقعه على ان نبني ادبا متأثرا بحياتنا الحديثة ونهضتنا الشاملة . ادبا يصور الواقع مهما كان شانه

ولونه ، وبتعبير سليم اللغة والاداء ، صادق الطابع والشعور لكيلا تحمل العصور القادمة علينا ضغنا ولوما . ولكي تكون صور حياتنا على علاتها ومحاسنها .

وفي جانب اخر من (بياض في سواد) وصفت في مقالة (ازاهير الذنوب) حياة الشاعر شارل بودلير التي انغمست في حمأة الدنايا وثمالات الخمور وكانت اسطورة مكشوفة لمعالم المجون وكيف استمد بودلير من تلك الحياة الموبوءة الخير . وتحول فسقه الى صفاء في النفس ولمحات متوهجة بالفن والجمال . ومن تلك الصورة نؤمن بان الانسان كتلة من الخير والشر .

وفي نظرة عابرة لوصف الاديب من خلال رأي الكاتبة نجد ان البحث في حقيقة الاديب اشق من البحث في تعريف الكاتب فالبعض اصطنعوا الصحافة والوظيفة واستغلوهما ليمضوا في طريق الادباء ويختصروها في وثبة خاطفة الى المراكز العليا دون ان يبذلوا جهدا او يقدموا فنا . وسوف يظل حظ الاديب والادب رهن القلق حتى تتوضح الحقوق والحدود عندئذ يسقط قناع العملة الزائفة في السوق الادبية .

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

وفي مفهومها لادب القصة تقول : غدت القصة في ادبنا الحديث من ابرز فنونه وارقاها حتى ان البعض فضلها على الشعر والدراسة . وللكاتبة عشر مجموعات قصصية تناولت فيها كل قطاعات الحياة التي تواكب مراحل الانسان وانسانيته وجوهر كيانه ووجوده وقد توخت الصدق في كل قصة وابدعت في خلق شخصياتها وحركتهم حسب ادوارهم بكل دقة . ففي قصة (سيدنا الجنيد) المهاجر الذي ام درب اللبان غريبا وانس بين اهله وخلانه لم يستسلم لغواية الشيطان رغم كل مقومات الاغراء الانثوية وآثر ان يعود لوطنه طاهرا من كل الذنوب ليبدأ من جديد مرحلة بطولية في الذود عن ارضه . وفي قصة (عاشقة النيل) تعايش البطلة (لمعة) احاسيس الوحدة وطول الانتظار للزوج المنشود . وقد انتظرته كثيرا ولم يأت فزاد هذا الانتظار توجعها وكآبتها للحياة . وعكر عليها لذة العيش والصفاء فلم تجد الا النيل مرساها مسامرا تشكو له بلواها ، وتدفن في غور امواجه عمق اسرارها ، اذ كانت تخشى ان تظل عانسا ويفوتها قطار الزواج . وهذا الاحساس وحده كان يؤلمها ويجرح في صدرها هذا القلب الخافق بكل عنفوان الشباب هذه القصة من شخصية واحدة عرضتها الكاتبة باسلوب شيق اضفى عليها قوة خلابة . فكل الاحداث عبارة عن صور وتخيلات لانسانة حائرة . ربطت كل آمال وجودها بالزواج كيلا تظل عانسا . وهذا الاحساس يلازم كل المتخلفات عن الزواج ويشعرن بمرارة الحاضر ، وقسوة المستقبل .

وهكذا تتنوع قصص الكاتبة حسب الظروف التي تحياها بطلاتها وابطالها ، وقد اتخذت من المحاورة وسيلة المضمون في معظم موضوعاتها . ونقلت الواقع بقلم مدرب قادر على الخلق والابداع لا سيما في قصصها التي تدور احداثها في فلك المدرسة والطالبات . ولعل مرد ذلك يعود الى ان الكاتبة مارست في مستهل حياتها مهنة التدريس المقدسة .. ومن خلال هذا الجو استمدت موضوعاتها القصصية .

وبهذا الشكل الممتع عرضت لنا الكاتبة الكبيرة الخفايا التي تدور في المجتمع على مختلف طبقاته ونزعاته وصوره . وكانت بكل ما كتبت مدعاة فخر للمراة الادبية التي اختارت الادب طوال حياتها طريقها للابداع الفني في كتب ودراسات عدة صدرت عن اكبر دور النشر في الوطن العربي . وفي القاهرة بالذات امضت الكاتبة فترة الاخصاب الادبي كعضو في نادي القصة منذ تأسيسه وسواه من المنتديات الادبية في عصر روادها الكبار الافذاذ وازدهارها الرائع كانت وداد سكاكيني واحدة من هؤلاء الرواد .

القاهرة **منور فوال**

لا تلمني في هواها

بقلم الدكتور عبد العزيز عبده ابو عبد الله

رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية
جامعة الازهر – المنصورة

* * *

ولا يعود الضمير هنا على هند او دعد فما لهند ودعد نصيب في فؤاد امرىء احب العربية واعتز بها فهي لغتنا الجميلة التي نجد في تعبيرها عن مختلف المشاعر والاحاسيس لذة الذ من التلذذ بالغواني اذا اقبلن في حلل حسان ، لذلك لا جناح علي اذا هتفت من اعماق قلبي :

لا تلمني في هواها	ليس يرضيني سواها
لغة الاجداد هذي	نفر الله رباها
فبها الام تغنت	وبها الوالد فاها
لست وحدي افتديها	كلنا اليوم فداها
نزلت في كل نفس	وتمشت في دماها
فاعيدوا يا بنيها	نهضة تحيي ثراها

لذلك يجب ان نعتز بها وان نؤمن بانها دعامة قوية من دعائم نهضتنا ، وعنصر هام من عناصر قوميتنا ويجب الا ننظر اليها على انها مادة من المواد الاخرى ، لانها نافذة المعرفة وباب الثقافة ووسيلة تحصيل العلوم المختلفة ، وهي لسان كل عربي ، وبها يتفاهم العرب في كل مكان ، توثق من صلاتهم وتؤلف بين قلوبهم وتدل على عروبتهم اذا اغتربوا عن اوطانهم ، وليست كذلك اللغة العامية ، بعد ان كادت لهجاتها المختلفة في اقطار الوطن العربي تقطع وشائج التفاهم والافهام واعتزازنا بلغتنا العربية اعتزاز بلغة لها ثقافتها العريقة الخالدة ، فقد ظلت هذه اللغة وعاء لحضارة الجنس البشري امدا طويلا ، حينما فرضها العرب في عهودهم الزاهرة على العالم ، وبها وصلت علومهم الى اوربا ولا تزال متسعة للثقافة العالمية الحاضرة تساير بخصائصها ركب الزمن وتتكيف مع الحياة وتنفذ منها اشعة المعرفة ويشع من خلالها النور ..!

ولقد حاول الاستعمار الاستخفاف بها والنيل منها باستعماره الثقافي الذي هو اخطر انواع الاستعمار ، حاربها ، لانها لغة الوحي ولغة القرآن ، والدين يدعو الى العزة التي لا يريدها الاستعمار للعرب ، ولقد اعطاها هذا الدستور الالهي مثلا في الصياغة اللغوية كانت به بين اللغات مثلا فريدا في الاعجاز اللغوي ، وفي ضوء هذه الحقيقة نحكم للغة العربية بمغايرتها لسائر اللغات . تأمل الاسلوب القرآني يقول المولى سبحانه على لسان خليله ابراهيم: الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ، كان السياق ان يقول واذا امرضني ..، ولكنه لم يشأ ان ينسب المرض الى الله فنسبه لنفسه ، كما قالت الجن : وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ، فبنى الفعل المسند الى الشر للمجهول وجاء الفعل المسند الى الخير ظاهرا ، وحينما دخل اضياف ابراهيم عليه قالوا سلاما فرد عليهم التحية ملتزما الادب الالهي (واذا حييتم بتحية فحيوا احسن منها او ردها) فكيف رد ابراهيم التحية بأحسن منها بقوله :

سلام ، ان : سلام هنا خبر لمبتدا محذوف والتقدير امري سلام والمبتدا يحذف اذا كان الخبر مصدرا نائبا عن فعله وهو ضمن جملة اسمية تفيد الثبوت بينما تسليمهم من جملة فعلية لانه مفعول مطلق لفعل محذوف وهذه الجملة الفعلية تفيد التجدد !..

ونحن لا ننكر انه قد تكون لقوم من الاقوام لغة حية راقية ثم ان يكون لهم كتابهم الديني هذه الرابطة العتيقة التي نراها بين العربية والقرآن ، انها رابطة فريدة المثال لا تعدلها في هذا الباب رابطة ، وان القرآن ليشد الى لغة العرب عشرات الملايين من اجناس واقوام يقدسون لغة العرب ويفخرون بان يكون لهم ثم منها نصيب .

اردنا من ذلك ان نبين ان اللغة العربية من هذه الناحية ليست كسائر اللغات الاخرى وان السهم الذي يسدد الى العربية لا يسدد الى حروف والفاظ ولا الى صيغ وتراكيب ، ولكنه سهم يسدد من امتنا في الصميم !

ان اللغة العربية مظهر لامتزاج الشكل العربي بالمضمون الاسلامي، ومن هنا كان اصحاب النفوس الحاقدة والغايات الفاسدة من استعمارية وغيرها وراء كل دعوة الى الفصل بين هاتين القوتين العظميين !..

كانوا دوما وراء كل دعوة تطعن في احداهما ، لانه طعن مزدوج لا يصيب واحدة منهما الا اصابتهما جميعا ، ولقد اتخذت محاولات الطعن في العربية او في الاسلام والطعن فيهما سواء اشكالا ومظاهر شتى ، فهي تارة تلبس ثوب الطعن في الادب القديم وصحته (1) وتظهر تارة بمظهر تشجيع اللهجات المحلية لتفتيت اللغة الواحدة وتمزيق الناطقين بها ، وتارة تلبس الثورة على القديم والدعوة الى الجديد .. (فمن مناد بالتمرد على الاسلوب العربي القديم وهو لا يتمرد في حقيقته على قدم الاسلوب وانما يتمرد على صحة اللغة وسلامتها ، ومن قائل بضيق العربية وقصر باعها عن مواكبة الحضارة ، ومن ناعق بهجر الحرف العربي

الى الحرف اللاتيني ومن داع للاعتراف بالعامية وما فيها من ادب وفن) (٢) .

وانها لسهام مسمومة بأيد عربية تصوب الى قلب العروبة والاسلام باسم الاصلاح اللغوي وتخدم اهداف الاستعمار ، لقد غزينا في افكارنا وقلوبنا ، واذا جاهد من يستطيع الجهاد بالنار والبارود او بالمال والعتاد افلا اقل من ان يجاهد صاحب الفكر بكلمة حق يقولها ؟! وان نور الكلمة المخلصة ليعادل جروح الشهداء كما ورد في الاثر : مداد العلماء يعدل دماء الشهداء ولو رددنا على كل واحد من اصحاب الغايات السيئة والاهداف المشبوهة لألقمنا كل واحد من اصحاب الغايات حجرا ويكفينا ان نردد لحافظ ابراهيم شاعر النيل على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي بـه وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة ... ومكتشف يبدو ومخترعات

لقد جهد النحاة الاول في البحث عن الرواة وان لم يسلموا من الخطأ ومنهم من عاش في البادية زمنا لينهل من المنبع الاول ويأخذ العربية من اهلها ممن لم تفسد سلائقهم الحضارة ، ولم تصل اليهم عدوى الاختلاط واتصلوا بالدراسات الاسلامية الناشئة في الفقه والكلام ومن بينهم من كان فقيها او متكلما ، والموا بالحركات الفكرية في البصرة والكوفة وهما مدينتا العلم الاوليان في الاسلام بعد مكة والمدينة وعاشوا في عصر الترجمة وعرفوا بعض كبار المترجمين ممن عرضوا لنحو لغات اخرى كالسريانية واليونانية ووقفوا على شيء من الفلسفة والمنطق وبخاصة كتب ارسطو المنطقية التي لم تخل من دراسات نحوية وفصلت القول في القياس وانواعه من استقراء وتمثيل ، وكان لهذا كله اثره في نشأة النحو العربي .

ان الاسلام كدين دفع بالعرب الى حضارة مادية وروحية شهد بها المصنفون من علماء اوروبا فجاء عن بعضهم كلمات نقلها عنهم الدكتور توفيق الطويل استاذ الفلسفة والاخلاق في كلية آداب القاهرة من كتابه العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي الصفحة الثامنة والثمانون يقول : ان خلق حضارة جديدة عالمية شاملة شمول الموسوعات في اقل من قرنين من الزمان لامر يمكن وصفه ولكن من المستحيل تفسيره وتعليله ، فان هذه الحركة العربية الاسلامية تبدو عند مقارنتها بالحركة العلمية عند اليونان اعظم شأنا من ناحية الكم وان لم تكن اعظم كيفا ، ومع هذا فقد كانت حركة خلاقة تتميز بالاصالة والابتكار ، بل كانت اعظم حركة علمية تتصف بالاصالة منذ مطلع العصور الوسطى ، ثم اخذ هذا العالم المنصف يعدد نعم العرب وافضالها على ميادين العلم : الجبر وحساب المثلثات والهندسة والفلك والكيمياء والبصريات وعلم الظواهر الجوية .

ثم يقول : اننا اذا نظرنا الى تراثه بمنظار بيئته وقارنا بين جهودهم وجهود غيرهم من معاصريهم ادركنا مدى تفوقهم الكاسح واضحا جليا ..!

ومنذ منتصف القرن السادس حتى القرن الحادي عشر كانت الشعوب الناطقة بالضاد اي اللغة العربية ، لان اللغة العربية تتميز بالضاد فيما يرى بعض العلماء ، ومن فيها من الذميين اي من غير المسلمين تتقدم موكب الحضارة في الدنيا كلها ، ثم يقول هذا العالم المنصف : ويرجع الفضل فيه الى ان لغة القرآن المقدسة قد اصبحت لغة العلم العالمي واداة التقدم الانساني ، واذا كنا نحن الغربيين نرى ان اقصر طريق يسلكه الرجل الشرقي الان الى تحصيل المعرفة ان يتمكن من معرفة لغة من لغات الغرب الرئيسية ، فكذلك كانت اللغة العربية بالنسبة للغربيين ، ابان تلك القرون هي المفتاح الوحيد الذي يسلم الى الثقافة الواسعة الجديدة ، لان التراث العلمي كان مكتوبا باللغة العربية ، والعلم والابتكار والتقدم باللغة العربية في اوروبا ، ولكي يتقدم انسان ما كان لا بد له من اللغة العربية .

هذا العالم المنصف يقول مثلما نقول نحن للعربي : لكي تتقدم لا بد من ان تتعلم لغة من اللغات الاوربية كذلك كان الغرب قديما بالنسبة للغة العربية ، ولذلك فنحن لا نقول شيئا للغة غير العربية ، انما للاسف ان مناهجنا استمرت في ايام الاستعمار قائمة على تضييع اللغة العربية وجعل مدرس اللغة العربية في الصف الاخير من المدرسين.

تخطيط من اجل موت اللغة العربية وتحيا اللغة الغربية ، ان اللغة العربية لغتي ، قوميتي لساني ، تراثي كتبي ، انما اللغة الاخرى فأهلا وسهلا ومرحبا بها ما دامت طريقا للعلم ، انما كان في ظل الاستعمار يخطط لشيء آخر ، هو ان تكون اللغة الانجليزية مثلا في مصر ، والفرنسية في الجزائر ، والعربية لا بد ان تموت هكذا هو المخطط .

اما الانصاف الاسلامي فهو الاعتزاز باللغة العربية فهي الممهدة لكل خير ، وفي الوقت نفسه ما دام هناك علم يجب ان نطلبه كاللغة الصينية او الافريقية .

لكن ليس معنى هذا ان نترك لغتنا كما يخطط الاستعمار في كل شيء وحتى فيما يمكن ان نتفاهم فيه من الكلام العربي ، حتى في لغة الشارع .

ماذا نقول من اجل الاعتزاز باللغة ؟ « لا يصح عقد الزواج الا باللغة العربية » .

ثم يأتي الامام ابن تيمية الحنبلي فيقول :

الثقافة بغير اللغة العربية ليست من الاداب الاسلامية الا لضرورة انما انا عربي وابن عربي في شارع عربي في مجتمع عربي واحدثه في امور عادية جدا فأجده يكلمني (خواجه) واللغة بالذات هي المقوم الاول للقوميات ، المقوم الاول باتفاق جميع العلماء ولذلك اذا كان يعاب على بعضنا انه لم يتعلم لغة اخرى وليست واجبة وجوبا كفائيا بمعنى

دعـاء الفجر

ضل خطوي على الضفاف الفساح ... وعوت ظلمتي ، وتاه صباحي
اين لي بالنجاة من وحشة البيد ... الحيارى ، ومقفرات البطاح؟
جئت ادعوك يا الهي ومن ... غيرك برء لعلتي وجراحي
جئت ادعوك والسموات تنشق ... عن النور والسنا اللماح
واذان الفجر الحبيب سرى في ... عمق روحي وقدسها المستباح
وفؤادي سرت به لوعة حيرى ... وعى سرها انين الرياح
وبجنبي ضج فيض خطاياي ... وضاق الشراع بالملاح
ودموع المتاب تغرق ايامي ... وضاع الشعاع من مصباحي

يا الهي ، طرقت بابك يغريني ... رحيق الرضا ، وعطر السماح
وعلى راحتي ماجت ضراعاتي ... سكرى بنورك الوضاح !
فابعث النور في مسارب روحي ... واسقها من عبيره الفواح
انا يا رب صادح سكت العود ... بكفي ، ومات فيه صداحي
كم تغنيت باللحون السماويات ... والحب ، والشجى ، والمراح
وسقيت الاسماع عذب الاغاني ... فترامت تعب من اقداحي
وعزفت النشيد يسكر امسائي ... ويشدو به سنا الاصباح
وعبرت السنين يحدو غنائي ... بسمة الشمس في جبين الصباح
وبريق المنى وهن عذارى ... وسكارى بغير كاس وراح
وخطى الفجر ، وهي تمشي على الدرب ... وتشدو لوقعها افراحي
ومضى طائري يرفرف في الافاق ... حلو الرؤى ، عزيز الجناح
واذا مزهري الحبيب يناغيه ... نواح المدى ، ورجع النواح
ويفيض الاسى على شط احلامي ... ويذرو الى الرياح رياحي
جئت يا رب استجير من الظلمة ... تجتاح غدوتي ورواحي
فامح من دربي الطهور دجاه ... اهد خطوي على الضفاف الفساح

المنامة ـ البحرين

ابراهيم صالح

انه يكفي ان يتعلمها جماعة ليسدوا حاجتنا من اللغة .

وهذا احد الحكماء يقول : اذا اردت الحكمة فاطلبها في مخ الافرنج وايدي الصينيين ولسان العرب .

الا يحملنا ذلك على الاعتزاز بلغة لها ثقافتها الواسعة وتنقل المستكن في خفايا الصدور وخلجات الفؤاد الى دنيا الحس والواقع ، وقد يكون الانسان حزينا ضيق الصدر فلا يجد متنفسه الا في ابيات يرددها فتقلب صحراءه جنة وارفة الظلال ، ورحم الله معاوية بن ابي سفيان اذ يقول: كانت نفسي تحدثني بالفرار من المعركة فما كان يحملني على الثبات فيها الا ابيات لعمرو بن الاطنابة :

ابت لي همتي وابى بلائي ... واخذي الحمد بالثمن الربيح
وامساكي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي او تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات ... واحمي بعد عن عرض صحيح

المنصورة ـ مصر

عبدالعزيز عبده ابو عبدالله

---

١ ـ انظر نظرية انتحال الشعر الجاهلي للدكتور عبد الحميد المسلوت ومعلقات العرب للدكتور بدوي طبانه والعصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف والادب الجاهلي للدكتور طه حسين .

٢ ـ نحو وعي لغوي للدكتور مازن المبارك مكتبة الفارابي دمشق سنة ١٩٧٠ ص ١٠٨ .

عدالة الله

قصتان

بقلم : رستم كيلاني

*

- ١ -

في القطار

مر الوقت والشاويش (عبد الهادي) و (ابو سريع) الرجل الاسمر النابت اللحية والجالس بجواره في القطار القادم من الصعيد يتسامران في موضوعات شتى ، ولما اخرج الشاويش (عبد الهادي) من جيب سترته علبة دخانه الصفيح ، وضع (الكلابش) على فخذيه ، فكاد ان يقع من اهتزازات القطار لولا ان انتشلته يد (ابو سريع) قبل ان يسقط على الارض ، فأسرع الشاويش (عبد الهادي) قائلا :

- « تسلم ايديك يا شيخ العرب»

ومضت لحظات كان (ابو سريع) يجول بعينيه يتأمل (الكلابش) ، ويقلبه في يديه وانتظر حتى فرغ الشاويش (عبد الهادي) من اعداد لفافته ، وسأله عن كيفية استعماله.

فالتفت اليه الشاويش (عبد الهادي) قائلا :

- « دي حاجة بسيطة جوي ، المتهم يدخل ايده كده هو .. لمؤاخذه حط ايدك مثلا .. ايوه كده هو ، ويتجفل عليها بالشكل ده » .

وظل بصر (ابو سريع) عالقا بيديه وهي داخل المقبض الحديدي هنيهة ، ثم قال للشاويش (عبد الهادي) :

- « افادك الله يا عم فك (الكلابش) لاحسن الناس تفتكر .. »

فقاطعه الشاويش عبد الهادي :

- لا سمح الله يا راجل .

وجلس الشاويش عبد الهادي يحاول فتح الكلابش مرارا ، ولبث على تلك الحال بعض وقت ، ثم اخذ يساعده في محاولة الفتح احد زملائه الجنود ، ولكن بلا فائدة .

وقال ابو سريع في ضيق للشاويش عبد الهادي :

- والعمل كيف دلوكيت يا شاويش ..

وبعد صمت لم يطل قال الشاويش بصوت خافت متقطع وهو يفكر في حل لهذه المشكلة التي من اجلها سيعاقب وستكون سببا في تأخير ترقيته التي طالما انتظرها طويلا ، وقد احس بالضيق يغزو صدره ..

- العمل .. عمل ربنا . يمكن في المركز نجد الحل

وانتاب ابو سريع الوجوم ، واعتراه السهوم ، واطلت من عينيه نظرة غريبة ، وعاد الى لفافته ينفثها في شرود .

بلغ القطار محطة (...) ونزل الركاب القادمون من وجه قبلي ومن بينهم ابو سريع وهو يحمل سلته الكبيرة بيده اليمنى ويده اليسرى داخل المقبض الحديدي يمسكها الشاويش عبد الهادي وخلفهما الشرطيان الاخران .

وعند مدخل المركز استقبلهم المعاون قائلا :

- مين يا شاويش المتهم المقبوض عليه ده ..

واجابه الشاويش عبد الهادي بصوت فيه تلعثم وتلجلج :

- ده .. ده يا فندم مش مشتهم .. الحقيقة واحنا جايين من مهمتنا من (...) حاول الجدع ده يجرب بالكلابش في ايده فأقفل عليها .

فقاطعه المعاون بقول حازم اللهجة:

- العمل فيه لعب.. حضر نفسك للتحقيق .. وفتش السبت ده .

وقال ابو سريع بصوت عال يشوبه احتجاج بعد ان توهجت عيناه ، وتغيرت سحنته وانتفخ وريده :

- لا يا فندم .. ما حدش يفتش السبت انا مش متهم .

ولكن الشاويش عبد الهادي اخذ السلة يفتشها كامر المعاون ، واذا به يجد (جلابية) ، وفطرتين ، وعلبة عسل ، ثم صاح وهو ينتفض رعبا .

فعاجله المعاون بقوله :

- ايه جرى يا عبد الهادي ؟

- لقيت يا فندم اللفة دي ملفوف فيها راس مقطوعة ..

وشاع الصمت برهة ، والمعاون يتطلع الى ابو سريع في ذهول ، وانسرح الشاويش عبد الهادي يفكر متعجبا فيما دفع هذا المجرم الى العبث (بالكلابش) وتجربته في وضعه في يده ، اللهم الا عدالة الله، الله الذي لا يغفل عن الظام يمهله ولا يهمله ، ثم نبهه صوت المعاون وهو يقول :

- خلو الحديد في ايده ، ودخلوه الحجز لغاية ما استدعيه للتحقيق وابلغ سيادة وكيل النيابة .

ولم يحاول ابو سريع ذو الوجه الاسمر ، واللحية النابتة ، الدفاع عن نفسه ، ولم يستطع ان ينفي عن نفسه التهمة كان لسانه مسمر في حلقه ، وبقي صامتا يديم النظر بعينيه البراقتين وهو يفتل شاربه في تأن ..

والتفت المعاون قائلا للشاويش عبد الهادي :

- يا شاويش انا سامحتك من

قصة

التحقيق ، لكن مش عايزهـا تتكرر تاني .. فاهم .

فشاعت الغبطة على اسارير الشاويش عبد الهادي ، وقال على الفور :

— فاهم يا فندم .

— ٢ —

في المحكمة ..

في قاعة المحكمة وقف داخل قفص الاتهام شيخ مسن شارف السبعين تفيض على وجهه المكسو بالتجاعيد غبطة وسماحة ، رغم علامات التجهم والتخوف التي ظهرت جلية في عينيه اللتين غشيتهما سحابة دمع .

وفجاة ..

قال الحاجب في صوت عال جلجل في القاعة كالناقوس « محكمة » ..

ودخلت هيئة المحكمة ..

وفتحت الجلسة بتلاوة بعض الاحكام ، ثم جاء دور ذلك الشيخ فوجه رئيس المحكمة له بعض الاسئلة قائلا :

— ما اسمك ؟

— سالم سالم علي .

— كم عمرك يا سالم ؟

— سبعون عاما يا سيدي ..

— انت متهم بقتل حافظ ابو خليف ..

— بريء يا سيدي ، بحق الله بريء ..

وصمت رئيس المحكمة برهة واخذ يقلب في الاوراق التي امامه ، ثم استطرد قائلا :

— النيابة ..

وامام المحكمة وقف وكيل النيابة والمدعي العام يقول :

— انني اطالب براس هذا المتهم الذي قتل حافظ ابو خليف عمدا مع سبق الاصرار والترصد ، ان المتهم لم يلجأ للقضاء لحفظ حقه من ثمن الارض المستأجرة بل قتل المجني عليه بلا وازع من ضمير ، فانه اذن لا يستحق اي رافة ولا رحمة ..

واستطرد رئيس المحكمة قائلا :

— الدفاع ..

وامام المحكمة وقف محامي المتهم يقول :

— سيدي الرئيس .. حضرات المستشارين .

في قضيتنا هذه الغاز . والغاز . انها قضية صراع على قطعة ارض مؤجرة يملكها موكلي الشيخ سالم وكان يؤجرها لاثنين من عائلة ابو خليف التي كانت في عداء شديد مع عائلته بسبب ثأر قديم نما بمرور



رستم كيلاني

*

الايام مع الصغار واصبح غاية ما يطمع فيه الكبار ، يجري في دمائهم وكأنه النار ، ويسري في عروقهم صارخا في غضب واصرار .

وقد حاول موكلي مرارا وتكرارا فض النزاع الذي كان قائما بين العائلتين ، ولكنه كان يجد الرفض الشديد من شباب عائلة المجني عليه الذين ركبوا رؤوسهم عنادا واستكبارا ، ولم ييأس الرجل ، وانما اخذ يبذل الجهد ويكرر المحاولة مرة تلو مرة ، حتى نجح في ذلك ، وعرض على عائلة المجني عليه قطعة ارضه يستأجرها من يريد ، وكان هذا العرض ترضية كافية للعائلتين ، ونزع الحقد من القلوب ، وجمع الشمل على الحب .

فقام ابو القاسم وابن عمه حافظ وهما من شباب عائلة ابو خليف باستئجار تلك الارض من موكلي .

ومرت الايام ، وتلتها الشهور والسنون .

وفي سنة ما .. لم يدفع احدهما الايجار المستحق عليه وهو مورد الشيخ سالم الوحيد .

ولما طالب موكلي احدهما بالايجار وعده حافظ بدفعه عند جني المحصول ، وبيعه ، فوافق موكلي ، وانتظر ، وطال انتظاره بلا جدوى ، وجني المحصول ، وكان محصولا وفيرا أدى الى نزاع بين اولاد العم ، كل يريد ان يحظى بنصيب الاسد ، واشتد النزاع حتى نشبت بينهما معركة عنيفة ، وتصادف ان ذهب موكلي دون ان يعلم بما حدث الى بيت حافظ لعله يحصل على ما سبق ان وعده به ، فهب فيه المجني عليه صارخا في وجهه بألفاظ بذيئة بدلا من ان يقوم باعتذار لطيف .

وخرج موكلي من بيت حافظ قاصدا المسجد لقضاء فريضة صلاة العشاء .. وبعد انتهاء الصلاة خرج من المسجد راجعا يتلمس طريقه الى داره . وفي اثناء سيره تعالت صرخات وعويل من الجهة الشرقية حيث تقع دار (ابوخليف) وعندما سأل الناس عن مصدر الصراخ قيل له ان حافظ قتل طعنا بالسكين وجرى الى ناحية الزراعية مسرح الحادث ، فلقي حافظ ملقى على الارض ملطخا بالدماء ، وحوله رجال واناث ، فأدار راسه وعاد الى داره .. وقبل صلاة الفجر بلحظات دق بابه شيخ الخفر يستدعيه للنيابة ، وفي النيابة واجهه السيد وكيل النيابة والمامور بان الادلة ثابتة ضده بانه هو قاتل حافظ ابو خليف وان جميع الشهود اجتمعت اقوالهم ضده بانهم راوه

سُحُبٌ من غير ماء

حاملين البؤس نمضي نحو أبواب الرجاء
ونصلّي ونصلّي للمطر حيث كنا نغرس الحب ويسقيه القمر
غير أنّ الشمس تسودّ ولا تدمع عينٌ للسماء
ثم تنهال علينا سُحُبٌ راعدة من غير ماءْ
أترى هذا زمان اليأس ، هذا زمن يولد من بطن الحفر؟
آه ! خلّصنا من اللعنة يا عصر الحجر

نوافذ الصّغار

للطيور مسكنٌ ، وللأفاعي مأمنٌ ، ونحن ما لنا سلام
أُتخم الاله من صلاتنا ، وتعب الكلام
دربنا ركام ، فجرنا ركام ، والركام حولنا ديارْ
آه ! من يلوّن السماء بالنجوم ، والغصون بالثمار
كلّما تثاءب المساء من نوافذ الصغار ؟

أولاد الأفاعي

كان اولاد الافاعي يسرحون
في عروق الارض ، يمتصون أعصاب الشجرْ
شجر اورثه الاباء جيلا بعد جيل
وسقوه بتباريح العيونْ

كان أولاد الافاعي يمرحونْ
في قبور الارض في ليل طويلْ
وثقيلا كان ذاك الليل ، لكن
بقيت فيه لنا الاحلام ، لكن
كان وجه الفجر حلماً وانتحر

باريس — اديب صعب

وهو يمسك بالسكين ويطعن بها صدر المجني عليه ، وكانت السكين تلمع في ضوء القمر .. فكيف يا سيدي الرئيس ، ويا حضرات المستشارين .. تلمع السكين في ليلة حالكة الظلام .. ان هذه الجريمة ارتكبت في اخر شهر عربي ، ومن ثم فلا قمر ، ولا نور، ولا دليل يدين المتهم البريء بما نسب اليه ، وهذه هي مفكرتي دليل البراءة ، ولكم ان تحكموا سيادتكم بما ترونه ، وما تقتضيه عدالتكم .

قامت هيئة المحكمة للمداولة ..

وبعد نصف ساعة ، عادت الجلسة للانعقاد مرة اخرى .

واستطرد رئيس المحكمة قائلا :

– بعد الاطلاع على اوراق قضية حافظ ابو خليف حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم سالم سالم علي من التهمة المنسوبة اليه والافراج عنه فورا ، وحبس كل من شهود الاثبات ثلاثة اشهر لشهادتهم الزور مع النفاذ ، وعلى النيابة والشرطة القيام بالبحث عن القاتل الحقيقي في هذه القضية ، وضبطه .

رفعت الجلسة ..

القاهرة — رستم كيلاني

الخصائص الفنية لمدرسة البيان في النثر الحديث في مصر

رسالة الماجستير مقدمة من :
حلمي محمد القاعود الى كلية دار العلوم
(قسم النقد والبلاغة والادب المقارن) بجامعة القاهرة

* * *

تناول هذا البحث للخصائص الفنية لمدرسة البيان في النثر الحديث في مصر نابعا من اقتناع بان هذه المدرسة لم تنل ما تستحق من الدراسة والتقويم ، وانها قدمت للادب العربي ذخيرة حية من النماذج الادبية الراقية والرائعة بالمقياس العلمي والموضوعي .

ثم ان قلة الدراسات النقدية في مجال النثر الحديث بالمقارنة مع ما لقيه الشعر الحديث من اهتمام وحفاوة قد اكدت الاقتناع بضرورة الدخول الى مدرسة البيان واكتشاف عالمها الثر ، ورصد خصائصها الفنية في هذا البحث .

وكان الدليل في التعرف على مدرسة البيان وخصائصها هو النصوص الادبية لابرز اعلام هذه المدرسة، ففي هذه النصوص مجال رحب وفسيح لتتبع الخصائص المتنوعة والملامح المميزة والمشتركة ، من خلال التيارات العديدة التي نبتت في دوحة البيان العظيمة .

ومن ثم فقد حرص البحث على تتبع اثار اعلام البيان ، خاصة تلك الاثار التي لم تطبع منذ زمان بعيد ، وصار من الصعب الحصول عليها ، او تلك التي نشرت في دوريات أدبية وصحف سيارة في العقود الاولى من هذا القرن ، وضمت نصوصا للاعلام . وان كان معظمها قد ضمته صفحات الكتب .

وقد استأنس البحث ببعض الاراء التي تناولت اعلام البيان ، او افكارا تتصل بالموضوع تناولا جزئيا ، بقصد تاكيد النتائج التي توصل اليها البحث ، او تصحيح بعض الاحكام الجزافية والمتسرعة ..

وقد استفاد البحث في بعض مراحله بما وصل اليه علم اللغة من نظريات ساعدت على تأكيد النتائج التي توصل اليها البحث بالتتبع والاستنتاج ، وذلك من خلال الاحصاء اللغوي .

ويشتمل البحث على ثلاثة ابواب ، يسبقها تمهيد ، وتلحقها خاتمة ، وهو تقسيم يهدف الى توضيح الجوانب المتعددة لمدرسة البيان وخصائصها في اطار من التكامل الذي يحقق للموضوع وحدته ، وتناغمه .

فقد جاء التمهيد ليتناول اساليب التعبير النثرية في عصر النهضة وما سبقه ، ثم ما تلاه من اساليب مهدت لقيام مدرسة البيان في النثر الحديث في مصر .

وقد عرفت الفترة الممهدة لعصر النهضة اساليب وصلت الى مستوى من الركاكة والغثاثة لم تعرفه العربية في اي من عصورها . ولم تتجاوز هذه الاساليب كتابة بعض الرسائل ، او الهجائيات والمقامات السخيفة .

ثم جاء عصر النهضة حاملا بذور الثورة على الواقع المتخلف للادب العربي ، وحقق بعض الادباء نوعا من التطور الملحوظ في الاداء والموضوع ، فالى جانب الرسالة والمقامة ، عرفت الكتابة النثرية في ذلك الحين الوانا من المقالة تختلج بارهاصات المقالة الفنية ، بجانب بدايات متواضعة لكتابة المسرحية والرواية ، فضلا عن تطوير محدود لرسائل الدواوين وطريقة كتابتها .

وكان لرفاعة رافع الطهطاوي ، وجمال الدين الافغاني ومحمد عثمان جلال وعلي مبارك .. دورهم الكبير في اقامة هذه النهضة الادبية ورعايتها بما كتبوه من موضوعات ، وبما دعوا اليه من افكار تجديدية وتطويرية في ميدان الكتابة .

ومن ثم ، فقد بدأ البحث « الباب الاول » ــ الجذور والثمار ــ ويضم ثلاثة فصول . الفصل الاول عن المقدمات التي سبقت مدرسة البيان ومهدت لظهورها . وقد توقف البحث عند مدرسة النثر المسجوع التي تعد صورة منقحة للمقلدين والمحتفين بأساليب البديع والزخرفة اللفظية ، مع تطور محدود في بعض الموضوعات ، بحكم الاتصال بالغرب، والظروف التي مرت بها مصر آنئذ ، وكان ابرز اعلام هذه المدرسة عبد الله فكري ، وحفني ناصف ، وحافظ ابراهيم واحمد شوقي .. ثم تناول البحث مدرسة الترسل ، وهي تعد الجذر المباشر لمدرسة البيان . وكان من أهم اعلامها « الاستاذ الامام محمد عبده » و « عبد الله نديم » وقد كان للاحداث التي مرا بها ، ثم توجيهات « جمال الدين الافغاني » الاثر الفعال في الخروج بالنثر من الدائرة الضيقة المحدودة الى آفاق أرحب واوسع واغنى ..

وكان لمحمد عبده اهتمام مقصود بتطوير اساليب الكتابة ، فدعا الى الترسل، والتعبير في اطار جديدومتحرر يركز على الاهتمام بقضايا المجتمع وهموم الناس ، ومراعاة اصول الصياغة الصحيحة ، والتخلص من قيود التكلف

والزخرفة ، وقد قدم الاستاذ الامام نماذج تطبيقية بكتاباته التي ضمتها رسائله ومقالاته الصحفية والادبية ، خاصة بعد الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي لمصر ، ونفيه الى باريس وبيروت .

كذلك كان لعبد الله نديم دوره الملموس في تطوير النثر نحو الترسل ، وساعده في ذلك .. اصداره لعدد من الصحف ، وتأليف عدد من الكتب ، واهتمامه بايصال افكاره الى اكبر عدد من الناس في فترة الثورة العرابية والنفي .

وفي الفصل الثاني تناول البحث مفهوم البيان ونشأة المدرسة ، وقد استعرض البحث مفهوم البيان من خلال نظرة اعلام البيان اليه وتفسيرهم له مع مقارنة بمفهوم البيان لدى بعض النقاد القدامى ، وتوصل البحث الى مفهوم مشترك او اصول مشتركة للبيان اتفق عليها كتاب البيان ، حتى صار البيان بمفهومهم يشكل مدرسة اسلوبية لها وزنها الكبير في الواقع الادبي ، ويحقق في الوقت نفسه معادلة جديدة توازن بين معالجة الافكار والقضايا ذات الاهمية ، وبين التعبير الراقي والاداء العظيم .

وخصص البحث الفصل الثالث لتناول المكونات التي اتكأت عليها مدرسة البيان ، وجهودهم التي بذلوها في تطوير الموقف الادبي ، وقد ارتكزت مكونات المدرسة على اسس من العقيدة الاسلامية والتراث العربي والشخصيات المجددة في العصر الحديث ، والثقافة الاجنبية الجيدة .

ويمكن القول ان جهود مدرسة البيان كانت مضيئة ومتألقة في اكثر من مجال ، ولعل ابرزها في الانعتاق بقوة الى مستويات جديدة لفن الكتابة بدءا من اختيار اللفظة وتركيب الجملة وصياغة العبارة حتى تكوين الصورة .. بل انه يمكن القول ان جهود هذه المدرسة كانت امتدادا للعبقرية الاسلامية في مجال النقد الادبي والبلاغة ، والتي توهجت على يد الامام عبد القاهر في كتابيه «دلائل الاعجاز» و « اسرار البلاغة » .

وفي الباب الثاني ، فصلان كبيران ، اولهما يتناول الخصائص الموضوعية ، وثانيهما يتناول خصائص الفنون الادبية .

وقد تعرض الفصل الاول لخصائص النثر الاجتماعي والنثر الاسلامي ، والنثر السياسي ، والنثر الادبي ، ويمكن القول ان مدرسة البيان قد اعطت للموضوعات التي تناولتها طبيعة حيوية ذات استمرار خاصة فيما يتعلق بالقضايا الانسانية المتصلة بالطبيعة البشرية . ففي النثر الاجتماعي كان الالحاح واضحا على ثالوث الفقر والمرض والجهل ، وما يرتبط بهذا الثالوث من قضايا اخلاقية تؤثر تأثيرا سلبيا على المجتمع وافراده ، وكان للمراة والصراع الحضاري بين القيم الاسلامية والمدنية الغربية نصيب كبير في كتابات اعلام البيان . وقد طرحت مدرسة البيان، حلولا ترتكز على التصور الاسلامي من خلال وعي عميق بابعاده واغراضه .. وقد تمكنت اخيرا من شد الوجدان الشعبي المثقف الى قضايا المجتمع ، والتفكير فيها من خلال المعالجة الفنية المؤثرة .

اما النثر الاسلامي ، فقد حفلت كتابات مدرسة البيان بدفاع مجيد عن الاسلام ، ورد الدعاوى الكاذبة والشبهات المتعمدة ، في اطار من التعامل المعتمد على الحقائق الاسلامية ، وبمنهج يحترم العقل والوجدان معا ، ويبعد عن الانشائيات المكرورة والكلمات الجوفاء . وكل هذا بفضل وعي اعلام البيان وفهمهم المستنير لاصول الدين والقرآن الكريم والسنة المطهرة . كما شن اعلام البيان حملات ناجحة ضد علماء الدين المنحرفين، باعتبارهم سببا رئيسيا من اسباب الجمود والتخلف والفساد .

وبالنسبة للنثر السياسي، فقد وقف البيانيون موقفا واضحا من قضايا الامة، وان كان هذا الموقف يتسم بالحذر من السياسة والسياسيين ، ومع ذلك فقد انتقدوا اولئك السياسيين الذين كانوا يتصفون بالانتهازية ، ورأي الاعلام ان الاخلاق دعامة ضرورية من دعائم السياسة والسياسيين .. وقد دعوا الى الوحدة العربية والاسلامية ، وحملوا في النهاية على « مصطفى كمال اتاتورك » بعدما انكشفت نواياه وخططه تجاه الاسلام والمسلمين في تركيا وخارجها . كما وقف اعلام البيان مع فلسطين ، واكثروا من الحديث عن ابطال التاريخ البارزين والظافرين لبث الحمية في النفوس ، ومن اجل استعادة الامجاد وبناء المستقبل .

وقد مثل النثر الادبي جانبا هاما في انتاج مدرسة البيان ، اذ كان هدفه تقديم نماذج وقضايا تسهم في ترقية الادب موضوعا واسلوبا . وقد حفل هذا النثر بالكثير من قضايا الادب والنقد ، التي تعالج الواقع الادبي والمستوى الفني للكتابة ، بوساطة تفجير هذه القضايا على صفحات الدوريات الادبية والصحف السيارة .. ولعل ابرز ما اهتمت به مدرسة البيان بمعالجته من قضايا ادبية كان قضية اللغة ومعجمها ، ورفع مستواها .

وقد اهتم الفصل الثاني في هـذا الباب بالفنون الادبية وخصائصها لدى مدرسة البيان والتي تمثلت في المقالة والرسالة والمرثية والقصة والترجمة .

وبوجه عام ، فقد شهدت « المقالة » ابهى فترات ازدهارها على يد مدرسة البيان ، بتياراتها الاسلوبية المختلفة ، مما يدل على وعي وفهم جيدين بحركة الواقع وابعاده ، فضلا عن القدرة المتفوقة في التناول المدعم بالعناصر اللغوية والبلاغية والتاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها .. ثم ان المقالة باعتبارها الميدان الارحب والاوسع ، والاكثر شيوعا ، كانت المحور الاساسي الذي دارت حوله المهارات الفنية لاعلام البيان ، وبالتالي فقد كان اكثر الانتاج النثري لديهم يتمثل بصفة عامة في فن المقالة .

اما « الرسالة » فقد مثلت جزءا لا بأس به في نتاج

اعلام البيان ، وان كانت لدى معظمهم تمثل جانبا هامشيا يتعلق بحياتهم الخاصة ، حتى ان رسائل بعضهم لا تنشر الا بعد وفاته ، وبعضهم الاخر لم تعرف له رسائل خاصة حتى الان .. ولكن الرسائل التي تناولها البحث دلت على قدرتهم في كتابة « الرسالة » من خلال اطار فني جيد ، يختلف بالطبع عن تلك الرسالة التي وصلت الينا من عهد النهضة او قبله . لقد كانت « الرسالة » في مدرسة البيان تهدف الى التعبير الحي من خلال صياغة مبتكرة ، ولا يؤثر في هذا الحكم العام ما كتبه المنفلوطي من رسائل يحتذيها الكتاب وظهرت عليها اعراض الحشو والتكلف .

وكانت « المرثية » لدى مدرسة البيان تعبيرا عن ظاهرة ادبية اجتماعية لها مغزاها في ذلك الحين ، وكانت في الوقت نفسه لونا من الاحساس بالترابط الاجتماعي ، في مواجهة الموت .. وكان مفهوم الاعلام ازاء « مسألة الموت » يتسم بالتسليم المطلق لارادة الله الخالق الاعظم ولكنهم مع ذلك كانوا يتجهون الى جانب المتوفى ، فيعددون فضائله ومآثره ، ويعبرون عن مشاعرهم وأحزانهم ، ويطرحون من خلال ذلك تأملاتهم في الموت والحياة وهي تأملات تتسم بالاسى بشكل عام .. ويلاحظ ان بعض الاعلام كانت تنسيه لحظة الموت الحد الادنى من الموضوعية ، فيجنح الى المبالغة والاسراف العاطفي ، كما ان بعض « المراثي » كانت تتداخل مع الترجمات الادبية للراحلين ، خاصة اذا كانوا كتابا او شعراء ..

اما « القصة » فقد حاول اعلام البيان تأصيلها ، واعتبر البحث بعضهم رائدها الحقيقي من خلال المحاولات التي قدمها تأليفا وتعريبا .. ولا يقلل من دور المدرسة في تأصيل هذا الجنس نظرة بعض الاعلام اليه او قلة انتاجهم منه ، فالذين نظروا اليه بغير اهتمام ، كتبوا عددا لا بأس به من القصص ، والذين قل نتاجهم كانوا يرهبونه او يشعرون بعدم القدرة على الوفاء بأصوله الفنية عند الكتابة .. ولكن نظرة عامة الى هذا الجنس الادبي ، توضح ان المحاولات التي قدمتها .. مدرسة البيان في كتابة القصة ، كانت على وعي بأصوله ومقاييسه الفنية ، وانها نجحت الى حد ما في تأصيل هذا الفن في مصر ، عن طريق كتابته او توجيه الشباب اليه ، وذلك بتقديم النماذج او اتاحة فرصة النشر والتوجيه ، كما فعل الزيات في مجلتيه « الرسالة » و « الرواية » .

وفي مجال « الترجمة والتعريب »، فقد لعبت مدرسة البيان دورا هاما فيه ، وقد تركز جهد الاعلام في ميدان القصة والرواية ، ثم الشعر والمقالة الى حد « ما » ، وكان ابرز علمين قاما بالتعريب المنفلوطي والزيات ، فقد كان مستوى اللغة الاجنبية لدى غيرهما ضعيفا ، ورغم ان « المنفلوطي » لم تكن لديه معرفة بلغة اجنبية واحدة الا انه استطاع ان يستخدم من يترجم له ترجمة حرفية ، ويتولى هو التعريب بصياغته واسلوبه .

وبصورة عامة فان عملية الترجمة ، قدمت صورة جيدة لما يمكن ان يكون عليه العمل الادبي المترجم ، خاصة اذا كان المترجم يملك قدرة خاصة على فهم اللغة المترجم عنها واللغة المترجم اليها وقد تجلى ذلك لدى « الزيات » الذي قضى بعض السنوات في فرنسا ، واجاد الفرنسية ومعجمها .

ثم يأتي الباب الثالث ، ويضم خمسة فصول ، ليعالج التيارات الاسلوبية في مدرسة البيان وخصائصها المشتركة والمتميزة .

والحق أن مجال التفوق الحقيق لمدرسة البيان ، كان في تحقيق قيم فنية جديدة للاسلوب والصياغة بوجه عام ، ومن خلال التيارات الاسلوبية المختلفة استطاعت هذه المدرسة ان ترتكز على اصول واحدة ، وتصل الى غاية واحدة . وتعطي لمختلف التيارات فرصة التعبير عن نفسها بالوسائل والعناصر المكنة لتحقيق الهدف الفني المأمول ، وهو الاداء المتفوق والصياغة المبتكرة والفن الجميل .

لقد انطلقت التيارات الاسلوبية في مدرسة البيان من اصول واحدة تتمثل في احترام اللغة والحفاظ عليها واثرائها ، ومراعاة القواعد اللغوية والبلاغية في التعبير ، لتحقيق غاية واحدة هي الاسلوب الراقي البليغ .. رغم انها تباينت في تحقيق هذه الغاية .

وقد انعقد الفصل الاول من الباب الثالث ، ليتحدث عن تيار الصياغة الجميلة ــ وكان المنفلوطي من ابرز ممثليه ــ وقد ظهر أثر مرحلة النهضة بكل ما فيها من صراع بين قيود الماضي وأثقاله ، وبين منزلقات الواقع واخطاره ، وقد اهتم هذا التيار بالصياغة الجميلة المعتمدة على صفاء الاسلوب ، واختيار اللفظة الملائمة ، والتركيب المتناغم ، وتحقيق الموسيقى العفوية والتلقائية ، التي ترفض التكلف وتنفر من الحشو والتقليد .

اما الفصل الثاني ، فقد تناول تيار «التوليد الذهني» ــ كان الرافعي ابرز ممثليه ــ وتميز هذا التيار بالاداء الدقيق المحكم في اطار من الجمال المتفرد ، واعتمد في ادائه على اسس ذهنية والوعي البلاغي والتراث العريق ، في اقامة البناء الاسلوبي بما يحقق الابتكار والطرافة وتحقيق الموسيقى الداخلية للجملة والصورة المتميزة .

وتناول الفصل الثالث تيار التنسيق التعبيري الذي يحقق « خصوصية اللفظ وطرافة العبارة » ، وكان من ابرز اعلامه « احمد حسن الزيات » واعتمد هذا التيار على التوازي والتوازن ، مستفيدا بالمعطيات الهندسية التي تحقق الدقة والرقة والاناقة ، وتعطي في نفس الوقت مدلولا يوصل الى قيام التنسيق التعبيري على اساس من « الطبعية » والتناغم الموسيقي والتقابل في اللفظ والجملة والعبارة والفقرة والموضوع .

وفي الفصل الرابع تناول لتيار « التصوير البياني » ــ وكان « البشري » من اهم اعلامه ــ ويهتم هذا التيار

رفعت يدي

★

احبه ، وعودي فاكرهيـــه	واعطيه اللذاذة وامنعيــه
غدا يغدو الجديد هوى قديما	كثوبـك ، فارتديه واخلعيه
جديدك، فاصنعي ما شئتفيه	فقد يرضى الذي لا ارتضيـه
اذيقيـه الهوان ، وذلليــه	وادنيه اليـك وابعديــه
كفـاه ذلـــة ، علـم باني	تركتـك مضغـة صغرى بفيه
رخصت ، رخصت ، هل اصبحت بعدي	تبيعين الذي لا اشتريــه
جعلتك في فم الدنيا صــلاة	فكيف غدوت ثرثرة السفيـه
حزنت ، وقد ذكرت مقال كبر	اذا لم تذكريـه ، فاسمعيــه
« اذا حط الذبـاب على طعام	رفعت يدي ونفسي تشتهيـه
ولا ترضى الأسود ورود مـاء	اذا ولغت كلاب الحي فيـه »

فوزي عطوي

بتجسيم الافكار ونقلها في صورة حية ومتحركة ، تشد لب القارىء بما تحمله من دلالات ساخرة وتهكمية وطريفـة ، وتستعين في ذات الوقت بالعناصر « الكاريكاتورية » التي تركز على بعض الجوانب التي لها دلالة خاصة ، ومفهـوم معين .. فضلا عن معطيات اللغة والبلاغة والخيال . وقد خصص البحث « الفصل الخامس » للحديث عن الخصائص الفنية المشتركة بين مدرسة البيان وهي خصائص تدل على انطلاق مدرسة البيان في ادائها التعبيري من اصول واحدة الى غاية واحدة ـ كما سبق القول ـ وتحقيق الوحـدة التعبيرية ـ ان صح التعبير ـ من خلال التنـوع في الاداء واساليبه ، ثم حرص مدرسة البيان ووفائها للغة والمعنى معا ، وقد كان من ابرز الخصائص المشتركة القدرة علـى الوصف والتتبع والاستقصاء ، ثم كانت ظاهرة الثـراء المعجمي وتقاربه واضحة لدى اعلام البيان ، وقد تأكـدت هذه الظاهرة من خلال بعض النظريات اللغوية الاحصائية التي قام البحث بتطبيقها .. وقد نبعت هذه الظاهـرة نتيجة جهود الاعلام لاثراء اللغة بالتعريب والاشتقاق ونفض الغبار عن الكلمات العامية ذات الاصول الفصيحة .

وكانت الجملة البيانية في خصائصها تؤكد باستمرار تشابه اعلام البيان في استخـدامها وطولها وقصرهـا واعتمادها على عناصر لغوية وبلاغية متباينة .. كذلك فقد كانت خصائص التضمين والاقتباس والصورة من حيـث التشكيل متشابهة ، وتكاد تكون واحدة ، وهو ما يعطي في النهاية لوحة فريدة ومتميزة لمدرسـة البيان في النثر الحديث في مصر .

وقد جاءت خاتمة البحث ، لتلخص النتائـج التي توصل اليها في ايجاز يشير الى اهم النقاط الاساسيـة لهذه النتائج والخطوات التي ادت اليها .

وبعـد :

فان البحث قد ركز على اهم انجازات مدرسة البيان، واهتم بالخطوط الرئيسية والملامح البارزة لاعلام البيان ، ولا يزعم البحث انه قد اوفى بما يجب للمدرسة واعلامها، او انه قد جمع فأوعى ، فالكمال لله وحده ، ولكن الامل معقود على جهود اخرى تمضي قدما ـ ان شاء الله ـ في سبيل اضاءة جوانب اخرى جديدة في هـذا العالم الثر الزاخر .. ولعل هذا البحث المتواضع يقدم جديدا يفيد ادبنا الحديث في مصر .. هذا وبالله التوفيق .

القاهرة — حلمي محمد القاعود



احمد حسين الطماوي

صبري السربوني في ذكراه الخامسة : صور من أدبه وأسلوبه

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

ابي
كنت اعلل نفسي بعد رحيلك بمراجعة اعمالك ، حيث اتغذى على ثمرات افكارك السائغة التي يلذ العقل مذاقها وعصارتها ، واتأمل خطرات قريحتك الصافية التي تشرق على النفس فتنعش قواها ، وتجدد مناها .

لا زلت اذكر يا ابتي سنوات طويلة خلت ، واياما فساحا تولت ، قضيتها في ربعك ، وفي عشيات الشتاء الباردة كان يطيب لك القاء الشعر ، من نظمك او من نظم غيرك ، فاذا لمحت بثاقب نظرك ـ وما اكثر لمحاتك ـ شيئا تعاصى علي فهمه توليت بيانه دون طلب مني ، ويقع كلامك قريبا من نفسي وذهني ، وبعد ادراكك ان الحواجز قد ازيلت من طريقي ، تعاود الانشاد ، فيتهادى النغم الحلو الى اذني ، وتنساب من شفتيك ابيات جميلة اخرى تسري الى روحي ، وسرعان ما تنتقل الى ملامح وجهي ، حيث يشع الفهم سرورا في عيني .

واذا كانت قد تمثلت في كتاباتك دقة الصوغ ، ونضج الذوق ، وعلو الفكر ، فان هذا له صلة بصحة الطبع ، وسمو مرتبة النفس ، وحرية الارادة ، وطلب الصواب ، وانها جميعا من علائم الانسان الكبير ، ومن جملة صفات الرجل الرشيد .

ولا انسى كتب الصور الجميلة ، لرامبرانت ولغيره ، ودوائر المعارف الفنية ، وانت تقلب صفحاتها ، وتترجم لي هذه الخطوط والظلال والانوار الى عبارات منتظمة انالت هذه اللوحات حياة وحركة ، فيتيقظ بصري ، وتتفتح بصيرتي ، وارى ما لم اره في هذه الاشكال والالوان ، وينمو تصوري ، وتتفهم نفسي اسرار الجمال الذي كانت تتوق اليه لتهيم في حسنه ، وتتوهج في بهائه .

اجل يا ابي الحبيب

كان يدور اكثر من ذلك في تلك الامسيات الجليلة التي كان الصفاء اليفها ، والعلم حليفها ، تتحدث فأصغي الى حديثك الشهي ، وتسكت فأحترم صمتك البليغ . لقد كنت معك في جامعة انت فيها الاستاذ والعميد ، وانا فيها المريد الوحيد .

والان اذيع على الناس شيئا اهتديت بشرعتك فيه ، ومن وحي كتاباتك الشامخة ارفع اليك خواطري ، لاجدد ذكراك ، فاننا ابناء هذه الفانية نفعل ذلك ظنا منا ان هذا هو المجد والخلود في الدنيا ، اما انت يا ساكن الجنان فقد تسخر من افعالنا ، وتهزأ من اقوالنا ، ولكننا نتصرف في الحياة بمنطقها ، فترى هل هو منطق باطل يا من عرفت الحق في دار الحق ؟

ملامحه

الدكتور محمد صبري السربوني رجل متوسط الطول يميل الى القصر ، ويتناسب جسمه مع قامته ، ملامح وجهه الابيض لطيفة تجمع بين البشاشة والتحدي ، حاد الانف ، يتدلى من طرف فمه غليون ، وسرعان ما تنفرج شفتاه من الطرف الاخر فيتصاعد منهما الدخان مختلطا بأنفاسه الحارة ، ويدخل اصبعه في فوهة غليونه بين الحين والحين ضاغطا في خفة على النيران السارية في التبغ ، وعلى عينيه السوداوين نظارة لا تفارقهما ، وعند القراءة يرفع نظارته ، احيانا ، على جبينه العريض ، ويرخي جفنه الاعلى على عينه اليسرى قليلا ، ويتدلى حاجبه الايسر تبعا لذلك بعض الشيء ، ويغطي شعره الابيض « بيريه » او « كاسكيت » فلا يظهر منه الا شعر الفودين ، له شارب صغير يترك مسافة من الناحيتين فوق شفته العليا ، ويمشي متمهلا وعصاه لا تفارق يمينه ، اما مزاجه ففيه

حدة ، وفي طبعه خشونة يعرفها من يعرفه ، وصوته قوي فخم . هذه هي الصورة التي رايت عليها السربوني عندما عرفته وهو فوق السبعين من عمره .

مولده :

ذكر الدكتور صبري انه ولد في التاسع من يوليو عام ١٨٩٤ وفي بطاقته العائلية قرات هذا التاريخ ايضا . ولكن واقع الحال كما يبدو لنا من خلال ما كتبه ، وما كتب عنه ، يدل على انه ولد في تاريخ سابق على ما ذكر .

وقد اصدر محمد صبري الجزء الاول من كتابه « شعراء العصر » عام ١٩١٠ ، ومعنى هذا انه وضعه في سن السادسة عشرة ، والكتاب عبارة عن تراجم قصيرة لعدد كبير من شعراء العرب المعاصرين ، وقد اعتمد في الترجمة لهم على معلومات استقاها من لقاءاته معهم ، واختار لكل شاعر عدة نماذج من اعلى شعره ، مما يدل على انه قرا دواوين كل هؤلاء ، او تابع ما ينظمونه في الدوريات المختلفة ، وهذا يفيد انه بذل جهدا ، وانفق وقتا ، واذا ما وضعنا في الاعتبار ان الاعداد لهذا الكتاب وطبعه ، ومتابعة المصادر ، ومراجعة هذه المادة ، ولقاءاته بالشعراء ، وجمع صورهم ، ادركنا ان هذا العمل يستغرق اكثر من عامين ، اي انه بدأ التأليف الجاد في سن الرابعة عشرة ، وهذا يدعونا الى استبعاد ان يكون هذا هو تاريخ ميلاده الحقيقي .

ومما يجب الاشارة اليه ان الاستاذ فتحي رضوان ذكر في كتابه « افكار الكبار » ان السربوني ولد عام ١٨٩٠ ، ولم يبين لنا المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة ، ومع هذا فقد يكون هذا التاريخ او حوله مناسبا لمولد الطفل محمد صبري .

والذي يؤكد ان مولده كان قبل عام ١٨٩٤ ، انه عندما اصدر الجزء الثاني من « شعراء العصر » قرظته مجلة « الملاجىء العباسية » في عددها الصادر في رجب ١٣٣٠ هـ اي عام ١٩١٢ . ومما جاء في تقريظ محرر المجلة قوله : « ومن يعلم انه (اي صبري) لا يتجاوز العشرين الا بقليل وانه يسترق وقته الثمين من بين براثن الدرس والتعليم كال له الحمد مضاعفا ، واثنى الثناء كله على جده واجتهاده ، فجزاه الله خيرا واكثر من امثاله بين الطلاب » .

ويؤخذ من هذا الكلام انه قد تجاوز العشرين سنة ١٩١٢ اي انه ولد قبل عام ١٨٩٢ م وعلى هذا فان مولده قد يكون على وجه التقريب حوالي ١٨٩٠ .

وقد عثرنا له على قصيدة بعنوان « زمن التصابي » نشرتها مجلة « الملاجىء العباسية » في عدد شوال ١٣٣٠هـ يستشف منها انه نظمها في زمن الشباب يقول :

رعى الله اياما نعمنا بظلها ... سواء علينا ليلها ونهارها
ونضر اعواد الشباب فانه ... نعيم الليالي لو تدوم قصارها
وما انس لا انس المنى وغصونها ... مهدلة افنانها وثمارها
واذ نحن في عرض الشباب روائح ... غواد دخيل اللهو طاب مغارها
زمان التصابي اين انت وقد جرت ... صغار العوادي بيننا وكبارها
زمان التصابي لهفة بعد لهفة ... عليك بانفاس يطير شرارها

ففي هذه الابيات يترحم على غضارة الصبا ، وصفاء البال ، ولا يترحم الانسان على شيء الا اذا بعد عنه او طار من يده ، وهذا يعني أنه تجاوز سن التصابي ، ويتحدث عن شبابه الذي نضر عوده ، ثم يذكر انه في عرض الشباب هو ما يدعونا الى الاعتقاد بانه قد تجاوز العشرين من عمره عندما نظم هذه القصيدة عام ١٩١٢ ، وليس هذا فحسب ، ولكن من ينظر الى القصيدة واخيلتها ، ودقة صياغتها ، ومعانيها ، ووحدة موضوعها ، يميل الى الاعتقاد ان ناظمها بلغ سن النضج الفني وتمكن من انشاد الشعر وتجويده .

ولا يغرب عن بالنا ان تقييد المواليد في مصر لم يكن اجباريا في هذه الفترة التي ولد فيها المترجم له .

صور من اسلوبه وادبه

دراسة اسلوب الكاتب متممة لترجمة حياته ، ذلك ان الاسلوب يعكس ثقافة الاديب ويبين قدر محصوله ،

ويعد احدى صور نفسيته ، لانه يعبر عما يخالج شعوره تجاه حدث او مشهد بكلمات تعرب عن حالاته النفسية ، فهذه العبارات التي يضعها الكاتب امامنا توضح لنا ما يأنس له فؤاده ، وما تنفر منه طباعه .

والدكتور صبري من اصحاب الاساليب المميزة في ادبنا العربي الحديث ، ولا ينقصنا التدليل والتمثيل على ما نقول ، فهو كاتب الى جانب انه ناقد ومؤرخ وشاعر ، ولا اخص قطعا ادبية دون غيرها يتمثل فيها اسلوبه ، ولكني اقول ان كتبه الادبية جميعا كتبت باسلوب نضيج له خصائصه وطابعه العام .

الزمن والموت :

ويبدو ان اديبنا قد استقام اسلوبه في وقت مبكر ، فعرف كيف يختار الالفاظ الدقيقة لمعانيه ، كتب مقالا في الاهوام بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١٣ بعنوان « دقات الساعة » جاء فيه :

« تنصف الليل ، ومر بعد وهنه ساعتان كما خبرتنا « ناعية الزمن » فتذكرت قول مدرس العربية منذ ستة اعوام تجرمت وترادفت ترادف الموج في محيط السنين والايام ان من اقسام المفعول المطلق ما يكون بيانا لعدده نحو « دقت الساعة دقتين » . الى ان يقول عن « الساعة الدقاقة » : « تردعني دقات الساعة واشعر منها بوحشة وانقباض ويخيل الي انها صدى اقدام عدو شديد البأس صعب المراس خلقه الله شفافا كالهواء ، كما خلق بعض الحيوان بلون الصخر والرمال ، الا ان الامر على الضد فالاول يتخفى ليصيد والثاني من اجل ان لا يصاد وما نشعر الا وقد اضحى سهمه في الساعة الاخيرة فأجهز على البقية الباقية : ذلك هو الموت » انتهى .

وهذه كلمات تصور لنا احساس شاب في مقتبل

شبابه ينصت باذن حساسة الى دقات الساعة ، وهذه الدقات ليست موسيقى منتظمة الايقاع كما يمكن ان يعبر عنها اخر ، انه يدرك ان هذه الدقات المتتالية اوقات تمضي من عمره على هذه السرعة فيلوح شبح الموت امامه .

ان الكاتب هنا يكشف عن تصور الذهن للوقت ، وعلاقة الشعور بالزمن ، ويستبطن ذاته ، ويفحص مشاعره ليقف على اثر مرور الوقت على وجدان المرء المتيقظ ، او بعبارة اخرى انه يحاول تحليل المشاعر الانسانية تجاه الوقت الذي يضيع من العمر او ينسرب من بين الاصابع ولا يستطيع المرء معه شيئا . فادراك الانسان لحقيقة الموت يجعله يفكر في انقضاء اللحظات والثواني حتى ولو كان في بداية العمر ، لان حركة الحياة مع الزمن تربط البدايات بالنهايات ، والساعة الدقاقة هنا وبهذه الضربات المتلاحقة تعني ان حركة الحياة سريعة والتغير مستمر ، والموت آت ، وهو ما روع الكاتب في باكورة شبابه .

والكاتب هنا يربط بين حادثتين : دقات الساعة ، والموت ، ويرتب احدهما على الاخر ترتيبا صحيحا ، او هو يربط بين واقعتين احداهما في زمن ينقضي ، والاخرى في زمن قادم ، ولا يجتهد في الوصول الى تقدير الفترة الزمنية بين الواقعتين ، لان هذا الامر لا اجتهاد فيه ، الا انه يرى ان تتابع ضربات الساعة يعني مضي ساعات الحياة سريعة حتى يأتي الموت فجأة وخفية .

وان اختيار كلمات « ناعية الزمن » و « الساعة الدقاقة » للساعة ليسا من قبيل البلاغة فقط ، وانما ايضا من قبيل قوة الادراك ، وقدرة تصور الواقع القائم والاتصال به . انهما تعبيران جميلان ليس مصدر جمالهما في انهما زاوجا تعبيرا اخر ليكونا موسيقى داخلية تشنف آذاننا ، ولا لان جرس كل منهما له من الوقع اللطيف حتى تهتز له اعطافنا ، ولكن لانه يتصل بالحقيقة ويصورها بكلمات قليلة ويبين انقباض الانسان عندما يتذكر الموت وهو حي .

ولكن ما السر في ان هذا الشاب يرتجف من مضي الوقت ، ويفزعه ذكر الموت ؟ لقد اختبر صبري الموت كثيرا ، ففي طفولته فجع في امه واخيه ، فدفن احزانه في نفسه ، ولكن ما ان يرى صور الفناء حتى تتكشف هذه الاحزان ، وتقضي على سروره ، وتتسرب الى كتاباته ، ولعدم المامنا بسر الموت ، واستجلاء كنهه ، فاننا نكثر من الحديث فيه ، ومن اقواله التي تفسر لنا بعض اسباب شقائه والمه قوله : « ولكني لا ادري لماذا تطرب نفسي فتحزن ولماذا يكون طريق السعادة طريق الاشجان ؟ هل هو حزن السعادة التي بلغت اقصاها وتكلم عنه بعض الكتاب ، او لاني انسان مفجع ؟ فقد فجعت صغيرا في احد ابوي فخيمت من ذلك الوقت في سمائي سحابة حزن لا تبددها شمس ، وصارت كل نغمة من نغمات قيثارتي شجى وانينا .. »

ويمضي الزمن ، ويطوي الموت صفحات اصدقاء واحباء وابناء اخرين مثل استاذه وصديقه اسماعيل صبري (شيخ الشعراء) ، وزميله في الدراسة جلال شعيب والذي كان يتلقى العلم معه في السربون ، وصور حياته طه حسين في قصته « اديب » . وزعيم مصر « سعد زغلول » حيث كان السربوني يعمل سكرتيرا له في باريس اثناء عرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ، وابنته هدى التي ماتت في طفولتها ، وكان يصفها بالذكاء والجمال ، ومن شدة تعلقه بها كان يحتفظ بقفازها الابيض في درج مكتبه حتى يوم وفاته .

وهكذا راى الموت يطوي الام والاخ والابنة والاصدقاء ولعل هذا ما فجر احزانه وهدد سعادته ، فكان كلما وجد في مكان بحث عن اشكال الفناء فيه ، والتفت الى الاشياء التي يعمل فيها العدم . ففي مدينة « كابور » في شمال فرنسا يتحدث عن « الوردة تتفتح في الصباح وتستنشق الهواء ثم تموت » . وفي مدينة « سان كريستوف » بجبال الدوفيني في جنوب فرنسا كان يطيب له الوقوف بجوار مقبرة دفن فيها سائح زلت به قدمه وهو فوق قمة الجبل فسقط ميتا ، وهكذا غلب عليه الحزن ، وشاعت في نفسه الوحشة ، واتسعت صفحات كتبه لذكر الموت ، وترديد ابيات الرثاء التي جادت بها قرائح الشعراء الحكماء .

جمال التصوير والتعبير :

قلم الدكتور صبري ريشة مصورة ، وله في تصوير الطبيعة آيات ولوحات تتجلى فيها فطنته والمعيته ، وقدرته على التعبير والتمثيل ، راى في طفولته حريقا فارتسم في ذهنه وبعد عشرات السنين صوره لنا فقال : « .. كان الفلاحون كعادتهم يكدسون الحطب فوق سطوح المنازل، فاذا الشرر ذات يوم يتطاير من بيت لبيت ، واذا بالنار حيرى مولهة تنتشر في كل ناحية رقعا حمراء ، صفراء ، سوداء ، والسنة اللهب تتصاعد وتنساب راسية افقية بعضها يتنقل مع الريح ، والبعض الاخر ينزل من العلية الى القاعة وينسرب ، ثم ما لبثت النار ان تجمعت اشتاتها واجزاؤها وتربعت على عرشها الفخم فوق القرية ، بين الرهبة والجلال » .

« ما زلت اتمثل تلك النار ، وذلك اللهب الراقص بالحانه المشرقة ، اني احب النار وهي تنثني كالاغصان مجتمعة وتنطوي وتنتشر وتزحف وتغطس وتطير وتميل يمنة ويسرة مع الريح وهي تجاذبها في عناق هوائي رائع » .

كأننا امام حريق لا امام كلمات تصفه وتصوره . منظر رآه في طفولته فاختزنته ذاكرته ، وصوره لنا عند السبعين من عمره . نحن مع قريحة تدخر المشاهد باحجامها والوانها حتى يحين الوقت للتعبير عنها ، اننا مع عين لاقطة ، وملكة مصورة ، وسر هذا التصوير الحي انه يضع أمام الذهن صورتين متضادتين ، صورة الليل الحالك الى جانب الضوء المنبعث من الحريق ، او بعبارة اخرى

صورة النور وهو يكون اشكالا في الليل البهيم ، والكاتب يحرك ملكة التصور لتتخيل هذا المنظر الحركي بين النور والظلام ، فكلما ازدادت النار اشتعالا ، تبدد ظلام الليل ، وكلما تجمعت النيران ، وخبا الضوء امتد الظلام وران .

ان هذا المنظر ليس في لوحة تصويرية ، وانما فوق الارض يصور حركة النور والظلام بين الليل والحريق . لذلك يثير فينا الاحساس بجمال الاضواء والالوان ، وتخيلها بالذهن وهي تتغير في الفضاء مع الموجات الهوائية يا لها من صورة حركية لعوب .

هذا تصوير فني لا يعني ان الحرائق وما تجره من ويلات تبهج القلب ، يقول في اخر المقال : « مررت بالمنازل فرايت جثث الاطفال التي كانت شواء النار مكفنة بخرق من القماش الخشن ، مصفوفة على الارض العراء امام البيوت ، ورايت تلك الايدي والوجوه الغضة كالجنى ذابلة مسودة ، ورايت في الداخل الحمام محترقا ومختنقا في بيوته لا يتحرك ولا تسمع له هديلا ، ولا خفق جناح .. »

نعود مرة اخرى الى صورة الحريق لنقف عند الفاظه ، او ادواته التي يستخدمها في التعبير والتوصيف ، فليتأمل معي القارىء عبارته : « النار حيرى مولهة تنتشر في كل ناحية رقعا حمراء ، صفراء ، سوداء » فهذه الالفاظ تقدم لنا تصويرا ذهنيا لما هو غائب عن العين عمليا وواقعيا ، وهذه الالفاظ او الالوان حمراء ، صفراء ، سوداء هي امكانات الصورة التي تكون الشكل المرئي لعيوننا ، الممتع لنفوسنا من الناحية الفنية . ويجب على الذهن ان يربط بين هذه الكلمات او المرئيات ، ويدرك العلاقة غير المرئية بينها ، لانها توجد على الورق منفصلة ، ولكن في المشهد الطبيعي مختلطة ، وهكذا يكون لدقة استخدام اللفظ من الايحاءات الذهنية والعاطفية ما له ، ونلاحظ هنا انه يستعمل الالفاظ التي تناسب المعاني دون اعنات . فتكون ادق في الابانة ، فلكل لفظ منها اثره ودوره في تنوير الصورة وفي وقعها على الحس والعقل جميعا . وهذا الاسلوب ليس قوامه المجاز والتشبيه فقط ، وانما يعتمد الى جانب ذلك على ايراد الصور المتآلفة .

ولنقرأ قطعة اخرى من وحي حديقته يقول في وصف مشاعره تجاه الطبيعة في فصل الشتاء :

« في السماء ري وصفاء ، وامواج من الضوء تضاحك الاعين والورد ، وتكسو الخضرة الهادئة بهجة تسكن اليها النفس ، وتستريح النواظر التي طال تقليبها في وجوه الرجال من هذا السواد الاعظم » .

« .. وها هي الريح تحرك اعالي النخل الجبار وتغني في اذنه كما تغني امواج البحر المصطفق في آذان الساحل . اغنية حلوة رتيبة تحرك الشجن الدفين ، اغنية القوة ، اغنية الارادة المنزهة عن كل لينة وضعف ، اغنية الطبيعة الشامخة التي تسخر من الانسان ، وتعبث بصخبه وضوضائه وحركاته البهلوانية التي تنطمس في ثناياها » .

اننا هنا امام تصوير فني يسوغه الذوق ، ويستغرق فيه الحس ، ونلاحظ ان احساسه بالطبيعة قد ارتقى لدرجة انه استطاع ان يدرك امواج الضوء وهي تضاحك العين والزهر ، ومثل هذه الكلمات توقظ ملكاتنا الفنية ، وتزكي قوى العقل المتخيلة ، فنشاهد ما في الطبيعة من جمال وجلال وبهاء . وندرك حضور الكاتب في ساحة الطبيعة وامتداد الصور واتساعها في عباراته .

ولا ادري بماذا اعلق على هذا الاسلوب الناضج ببيانه الدافق ، وتصويره الناطق ، وصفائه الرائق ؟ ان احسن تحية لهذه القطعة هي اعادة قراءتها .

وفي القطع الفنية التي تحمل عنوان « في حديقتي » و « على النيل » في كتابه « ادب وتاريخ واجتماع » يجري فيها على مألوفه فيقدم احاسيسه ممتزجة بطرائف التعبير ويتجدد حسن هذه القطع البديعة بتوارد الصور الباسقة فيها .

واسلوب السربوني لا نجد فيه العبارات المسجوعة المقفاة ، وان وجدت فهي واجبة غير مجلوبة ، لانه يطلق جمله من قيودها ويرسلها حتى تحيط بأطراف الموضوع ، واهم ما نلحظه على هذه العبارات السيولة والسهولة فلا نستنجد بالمعاجم لتخبرنا بمعانيها .

ومن عناصر اسلوبه ابتداعه للتشبيهات ، وتوفيقه فيها يقول مثلا : « وقد كانت معجزة البارودي انه خرج بقوة باهرة من طوق التقليد المحكم الذي نشأ فيه ونقفه كما ينقف الفرخ البيضة » ، وقوله في الشوقيات المجهولة جـ ٢ ص ١٢ : « وهذه الابيات وامثالها كان يجب تنحيتها عن الطبعة المنقحة كما تنحى الفروع الميتة عن الشجرة » . وقد مر بنا بعض التشبيهات والاستعارات في القطع التي عرضنا لها وهي تشبيهات مبتكرة بعيدة عن المبالغة المقوتة ، مما يجعلها مقبولة ، فضلا عن انها تزيد الصورة وضوحا وثراء .

ونرى في بعض عباراته اثار المحفوظ القديم من الشعر ، يقول مثلا : « وكأنك تنادي منهم صخرة لا تحركها الاغاريد » . هذا المعنى مأخوذ من بيت المتنبي :

اصخرة انا مالي لا تحركني هذي المدام ولا هذي الاغاريد

وتتخلل اسلوبه معاني القرآن يقول : « امثال اولئك المترجمين يجنون على شعر شوقي بترجمتهم السقيمة وخير لهم الا يترجموا فانهم لن يبلغوا الجبال طولا » والجزء الاخير مأخوذ من قوله تعالى : « انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » .

وفي الجملة نرى اسلوبه يوقع في نفوسنا عدم التسرع في الكتابة ، بل يتناول الامور في تؤدة وتبصر ، ولا يستكثر من عدد الصفحات بمط الكلام ، والاسهاب في الحديث بغير

من وحي الرّيف

تراجيع ذاك الصوت ما زلن في القلب ... شذى عاطرا نشوان كالخاطر العذب
وفي غامض الابعاد تنثال انهـر ... من الذكريات الغر، مسلوبة الدرب
على رحبات الريف تبلي ضفافها ... قوافل احلام تناءت عن الخصب

وبوح السهول الساهمات تعله ... خطا آفلات من مساء مهاجر
يسر البراءات العتيقة ذائبا ... كدفق ضياء، فاتن الافق، آسر
فيصغي حفيف الريح حتى يحيله ... ضرام الاسى لحنا لاشواق حائر

وفي ضحوات كن قبلا معابرا ... يطل المدى مستنزف الروح خاويا
كصديان يمضي للسراب تسوطه ... رغاب بلا ماض اضلت مساريا
هنالك ماذا غير «لولا» عقيمة ... وغير عذابات تطيل اللياليا

ومسترق الاعوام يمضي مفجعا ... يسائل اطياف الليالي الذواهب
عن اللهفات البائدات ووقنها ... وعن كوكب ضل المسارات، غارب
فلا يلتقي الا هشيما وغربة ... وركب زمان، حاسر الوجه، هارب

لو ان الربيع الازهر الثر ماثل ... وصفو الرضا مثل الهواء المسخر
وما كان يمضي ليس فيه جهامة ... كغيم الاسى يطفو على كل معبر
لو ان البراري تمنح الناس سرها ... وتكسر اصفاد الطريق المسور

دمشق

رضوان الشيخ محمد

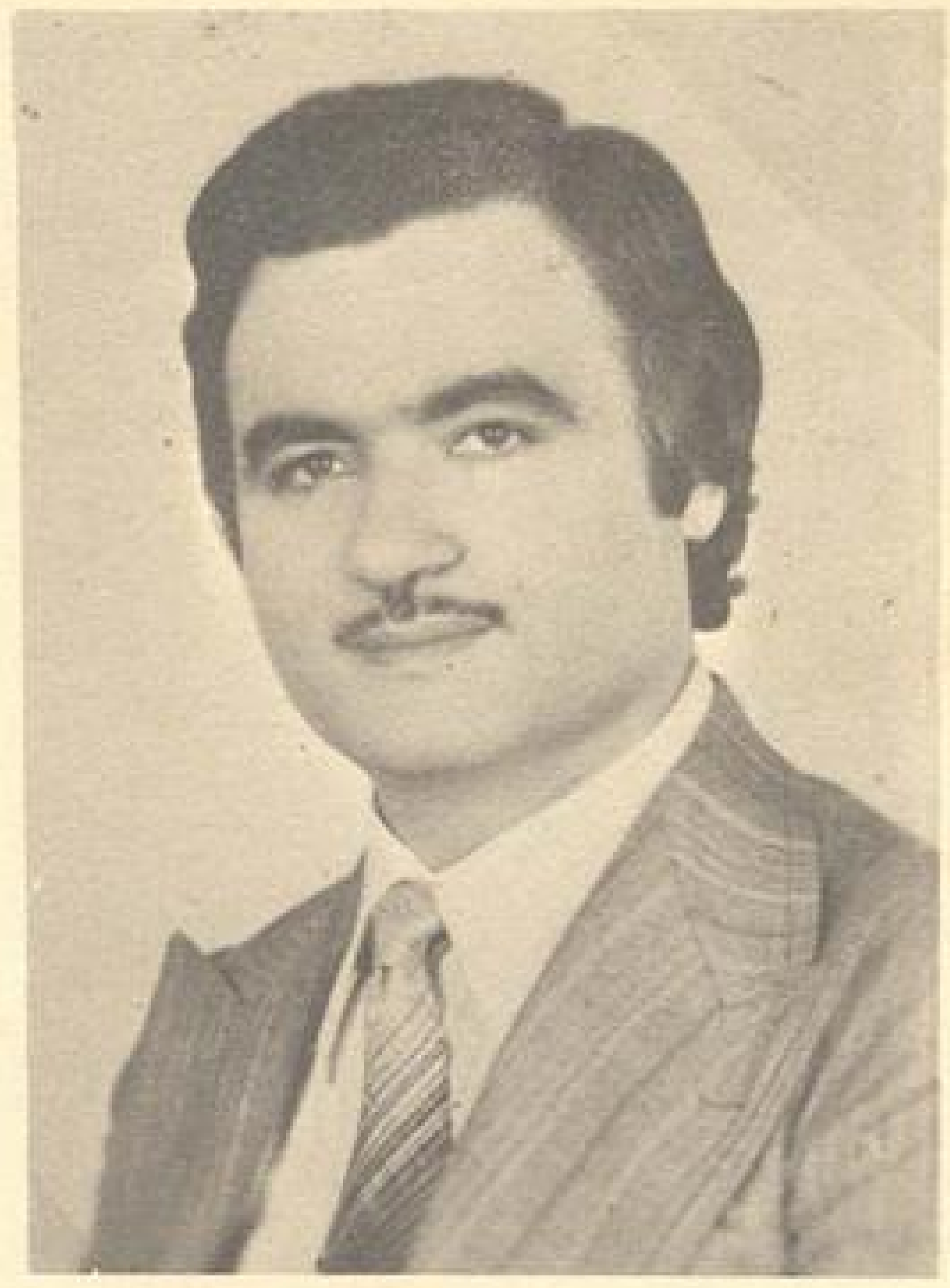
فائدة باقية، ومثل هذه الاساليب البليغة لا ندري كم كابد فيها قائلها قبل ان تصل الينا سهلة، لطيفة الايقاع، تتعالى مع هدوئها وبساطتها.

١ – الدكتور محمد صبري «السربوني» ولد في مصر حوالي عام ١٨٩٠، وتوفي في يناير ١٩٧٨، وقد تلقى تعليمه في المدارس المصرية، ثم اكمل دراسته في جامعة السربون في باريس حيث حاز درجة دكتوراه الدولة عام ١٩٢٤، وتقلد عدة مناصب رفيعة في مصر فكان استاذا بجامعة القاهرة، ورئيسا للبعثات العلمية المصرية في اوربا ومديرا لدار الكتب المصرية بالانابة، ومديرا لمعهد الوثائق والمكتبات، وله نحو ثلاثين كتابا منها: الشوقيات المجهولة في جزاين، وادب وتاريخ واجتماع، والامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسالة الشرقية – في ٦٠٠ صفحة باللغة الفرنسية. والامبراطورية المصرية في عهد اسماعيل والتدخل الاجنبي – في ٦٠٠ صفحة باللغة الفرنسية – وسلسلة كتب الشوامخ في اربعة اجزاء، والثورة المصرية في جزاين بالفرنسية،

وشعراء العصر في جزاين .. وكان زميلا لطه حسين في السربون وصديقا لاسماعيل صبري واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران، وقد كتبت عنه عشرات المقالات بمختلف اللغات الاوروبية، وفي الجملة هو احد نبغة مصر في عصر الاحياء والتنوير.

القاهرة

احمد حسين الطماوي



الدكتور فوزي عطوي

كتبت اليك

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

اخضوضرت اوراق الدفاتر

لا ، ما احببت ان اصدق ، حين قلت لي ان العين التي تكاد تزحزح الكواكب عن مواقعها ، من شدة الاسر والسحر ، تستطيع ان تصوب زناد البندقية الى جناح طائر يرفرف فوق الغصون .

واية غابة هذه التي ارتضت بك قناصة لاجنحة الطيور الزغب فيها ، بعد ان عهدتك عروسا من عرائسها الفواتن ، تنقل خطاها فوق الجبل المخضوضر ، فينبت الريحان انى تمر ، وتزهر الجنائن ، وتتفتح براعم الياسمين انت الملائكية الصوت ،

اما اشفقت على حناجر البلابل ان تسكت على وقع رصاصة جانية ؟

اما حدثتك نفسك ان هذا الطائر المقتول قد يكون يمامة تنقل السلام من الحبيب الى الحبيب ؟

اما ارتعش الزناد ، بعد ان ارتعش الزند ، في اضطراب الانامل التي ما امسكت بالقلم الا اخضوضرت ، تحت سنانه ، اوراق الدفاتر ؟

لست ادري كيف تكون لك ، في طيور الغاب ، طرائد؟

وان كنت انقب لك ، بين كتب القوانين ، عن عذر مخفف لما ارتكبت من جريمة ، وعن مخرج يؤدي بك الى استصدار حكم بالعفو عنك من محكمة السماء ، فذلك اني احبك ، احبك فوق ما تتصورين !!

* * *

نندم .. ولا نندم

تندمين احيانا ، تقولين ؟

يا ليتك كنت الجبانة التي تعرف كيف يكون الهروب من عالم الضوء والحب والجمال ، واذن ، لشهدت بام العين كيف تتحطم الاصنام على ايدي صانعيها !

لئن كان ندمك ، من قبل ندمي ، فطوبى لنا نادمين معترفين حتى بذنب ما اقترفناه !

نندم ، يا حبيبتي ، لان زمن اللقاء بيننا لم يبدا رحلته منذ ان انفتحت حدقة العين فينا على النور ، لاول مرة !

نندم ، يا حبيبتي ، لاننا تأخرنا حتى هذه المرحلة الشهية من عمرنا في تعارف ما كان احلاه واشهاه ، لو لم يتم ، وعلى قلبينا من القيود والعوائق ما لا يسيغ مجتمع تحللا منها او تخليا عنها !

لكننا لا نندم على ما في صميم قلوبنا من محبة الخير للناس ، كل الناس ،

ولا نندم على اننا نجابه الواقع بشموخ ، فنعطيه حقه غير منقوص ، ولكننا نمنعه اذا منعنا حقنا ، او اذا اداه منقوصا الينا !

اما الحمائم المزقزقة من حولنا ، فنسمع أصواتها في اعماق الضمير ، لانها هبة السماء من خلالنا ، على الارض.

واما انت ، ايتها الورقاء الشجية ، ففي البال اصداء صوتك الخاشع !

* * *

اريج النسائم من جنتك !

واذا وافقتك رغبتك في الغياب ، فثقي ان لساني يكذب القلب الذي يقول من الاعماق : لا !

صرت احسك قطعة من نفسي ، فلا اطيق لك اغترابا ، ولا احتمل منك هذا الهروب المحبب ، على ما فيه من المشقة لاعصابي المتعبة !

صرت اكره النسائم المارة بي ، ان لم تحمل الي من جنتك بعض الاريج ،

صرت ازدري طعامي وشرابي ، ان لم تكوني لي شريكة الطعام ، ونديمة الشراب .

صارت قهوتي الحلوة في مثل مرارة العلقم ، ان لم ترافق رشفاتها الحان صوتك الذهبي !

فان سألتني ، بعد الان ، سماحا لك بالغياب ،

وان اجبتك لما انت راغبة فيه من بعد عن ناظري وعن مسمعي ،

فاعلمي اني كذبت على نفسي ،

واعلمي اني كذبت عليك ، لكي ارضيك وانزعج !

أفتريدين ان تعلقمي لي قهوتي الحلوة ،

وان ازدري طعامي وشرابي ، والنسائم التي تمر بي؟

ان اردت فغيبي ،

ثم عودي . فأنا على شوق انتظر !

* * *

الحب المحيط بكل شيء

وكان لا بد ان نلتقي ، لا لأبثك التهنئات بالمناسبة المباركة وحسب ، وانما لأؤكد لك انك والمناسبة المباركة سيان في وجداني الخافق بحبك !

كان لا بد ان استنقذ لك لحظات من خضم المشاغل التي تحيط بك من كل جانب ، لاجعلك تشعرين ، كما اشعر ، ان كل هموم الدنيا ، وكل اموالها ، وكل فلسفاتها وعلومها لا تعادل جلسة نجوى ، يبث فيها القلب قلبه ما في شرايينه من خفقات الامل العظيم ، والحب المحيط بكل شيء !

ولقد راعني منك ، منذ ايام ، كسل يلذ لك الركون اليه ، فلا يشفق قلمك على الاوراق اليتامى لديك ، ولا يبثها شيئا من خلجاته ، ولا شيئا من خلجاتك ، فرايت ان يكون بين انا ملك قلم شغوف ينكر الكسل اللذيذ ، ويذكر كلما تلألأ في يديك ، انني ارتقب منه ومنك ما احبه من النفثات النشاوى !

فما اطيب المناسبة المباركة ، تجدد حمية الانفاس ، وتبثها ندية على سنان القلم الجديد !

وما اطيب اللقاء ، في غفلة من المشاغل والهموم ، عند الظهيرة المحمومة كحبنا الطاهر الجميل !

* * *

لكنني مررت بهم ...

لا تعجبي لما ترين من عجيب امري . فهذه اخلاقيتي ليس لي الى تبديلها من سبيل !

هؤلاء الذين رايتني ابتسم لهم ، اضمهم الي ، اكرمهم كالبق ما يكون التكريم ،

اقضي لهم حوائجهم كما لو كنت مدينا لهم بما لا يوفى من ديون ، لا اعرف ان اعاملهم بنقيض ما عاملتهم به.

حاربوني ذات يوم ،

وقفوا امام طموحي ،

حاولوا تحطيم معنوياتي ،

عملوا المستحيل في سبيل ان تكثر العثرات على طريق مستقبلي !

لكنني مررت بهم كما تمر الكواكب بالخفافيش .

لم ارد لهم كيلا بكيل ، ولا ازود !

ولا عاملتهم عينا بعين ، ولا سنا بسن !

كان في امكاني ، لو كنت اعرف ذرة من الحق ، ان اشفي غليل الحقد منهم ، كل يوم !

لكنني ادركت ضعفهم ،

وعرفت صغارة نفوسهم ،

ووثقت انهم عائدون ، ذات يوم ، الى الحظيرة ، يندمون ويستغفرون !

ولانهم ضعفاء ، قابلت كرههم بالمحبة ،

ولانهم صغار ، قابلت حقدهم بالمغفرة ،

آمنت من قبل ، وكل يوم اتلو فعل الايمان ذاته بان الضعيف يحقد ، واما القوي فانه يغفر للضعفاء المساكين!

* * *

ارفض ان يحاسبني احد

رغم كل حساسيتي لاتفه الاسباب ، مما يزعجني ويزعج صداقاتي الحميمة ، فيبقى ثمة حد ادنى لواجبات اللباقة ، احرص عليه في البعد والقرب ، وهو ان اخص الذين يعنون شيئا بالنسبة الي ، بتحية صادقة .

وليس لي ان احاسب احدا ، بعد اليوم ، لانني ارفض رفضا قاطعا ان يحاسبني ، بعد اليوم ، احد . قد يخسر الانسان كل شيء ، وهو مبتسم ، ولكنه يدافع عن صداقاته حتى نهاية المطاف .

فعسى ان اكون قد وفرت بقايا صداقاتي ، بعدما خسرت كل شيء !

* * *

اسطر اليك هذه الكلمات مشتاقا ، واخاطبك بالحبر والورق واللهفة الحرى ، فكأني في مناجاتي الهادئة اقرأ على نفسي ما اخطه الى انسانة كانت وستبقى ، في ذكراها، اقرب الناس الى نفسي ، مهما تعقدت بيننا الامور ومهما تجمعت الظروف لكي تمحو صورة حبيبة لا احب لها ان تمحي ، لاني بذلك انقذ اجمل ذكرياتي ، واصون الالق السني الذي بثته تلك الصورة الحبيبة في ثنايا حروفي النائرة الشاعرة .

انتظرت ، قبل الان ، كأطول ما يكون الانتظار ، فلم يبلغني منك كتاب ، ولا حرف واحد من كتاب . واعرف انني ، ان خدعت نفسي ، فسوف انتظر بعد اطول مما

انتظرت ، وسوف يلوح لي سراب الحلم الواهم ، كمثل سراب هذه الصحاري الممتدة الان امام ناظري ، عبر الافاق والمستغيثة بالخليج من الظمأ القاتل. وهيهات ان تنساب من الخليج روافد الينابيع ، ثم هيهات ان يروي السراب عطش الرمال الوالهة .

انه لتشبيه قاس ، يا عزيزتي . اكاد اسمع الان صوتك الحريري السماوي يحتج علي وعليه . لكنها الحقيقة المرة التي تفوقه قساوة . لقد كتبنا بايدينا لفردوس احلامنا ان يؤول الى مثل رمال الصحاري، وكتبنا بأيدينا للينابيع الصافية ان تشرق باحلام الخليج . وقد كانت ايام ماضينا ترفد ايام حاضرنا بالرقيق الرقيق من امنيات حبنا الخالد ، لكننا ، بحرقة واسف ، قهرنا ايام مستقبلنا على ان تكون على غير ما نشتهي .

تعرفين ، يا عزيزتي الغالية ، ان اسماري واسحاري تصبح باهتة اذا خلت من مناجاة حبك . فاذا قسوت او رققت فلانك المراة الانسانة ـ الانثى ، والاميرة الاسطورية التي تعني لقلبي كل شيء ، وتعني لشعري كل شيء . لذلك ترينني في قساوتي وفي رقتي ، اقاوم بعنف وبسالة لكي احتفظ بك ، لكي اخبئك في اهداب عيني ، لكي اسجنك في اوراد قلبي ، لكي اصون حبك كما يصون الابي بقايا كرامته الجريح .

واعرف الان ، كما عرفت على الدوام ، انني اصبح مرفوضا من نفسي ومنك انت بالذات ، ان انا تهاونت او اذعنت قدر هنيهة ، واحدة ، لما يمس كبريائي . ولقد عرفت جيدا في لقائنا الاخير ، كيف تجرحين كبريائي بحديث ، وبردود على حديث ، اقل ما في لغتها المازحة انها مرفوضة من جانبي رفضا قاطعا ، ولا احب ان اتمادى لئلا ينبو بي تهذيب اعرف جيدا كم تحترمينه وكم تحرصين عليه . لكنني اصدقك القول بانني كنت انتظر من كل نساء الارض ، الا منك ، جوابا مثل ذلك الجواب ، ثم اصدقك القول ايضا ان الوردة التي لا ترتوي من ماء سلسبيل اختارت الارتواء منه غير مكرهة ولا نادمة ، فسوف تظل ظمأى على الدوام ، لا يزيدها تغيير ألاكؤس والامواه الا احتراقا بقصة العطش الابدي ، مهما يتراقص خداع السراب في الكؤوس البراقة الجديدة .

بصدق الرجال الاقوياء ، اقول لك الان : يؤلمني اشد الالم ان اجيئك بشعور الانسان الذي لم يعد له عندك شيء ولا احب ان اتمادى مرة اخرى ، لكيلا اسجل منظرا اخر ارى فيه كما ترين ، وكيف يمكن ان يجيء رجل بشعور الذي له عند امراة شيء حميم .

هذا كلام قاس ، بل شديدة قساوته ، اقوله غير عاتب ولا غاضب ، وقد كان حقي ان اعتب وان اغضب . وانما اقوله ، وكأنني اقرأ حروفه على نفسي ، في وحدتي وغربتي ، بعدما طال بي شعور الوحدة والغربة ، واني لاحتمله بشجاعة ، واواجهه بابتسامة لا تخلو من كبرياء ، وان كانت جراحها ، الى الان ، لا تدري كيف تحتبس الدماء .

قلت لك ، منذ خطوتنا الاولى : انني لا ارضى لنفسي عندك ، المقام الاول ، احتراما مني لظروف تحيط بك ، ولاحباء اخصهم ، على العمر ، بمثل ما تخصينهم من المودة والحنان . وكان عليك ان تعرفي ، من تلقاء نفسك ، انني بعد مقام أولئك الاحباء ، لا ارضى بغير المقام الاول . هذه انانية صارخة . اعترف بذلك ، بل اصر على هذا الاعتراف ، واتشبث بهذا المطلب . واما ، وقد ذهب المطلب هباء ، وغدا الاعتراف صدى ضائعا بغير معنى ، فليس لي ان اعاتب ، وليس من حقي ان احاسب ، وليس يسوغ لي ان اطالب بأي شيء .. بأي شيء على الاطلاق .

وما زلت احرص على احترامك العظيم ، بعد ان فقدت بحزن لا يوصف حبك العظيم . فلا اخاطبك بمثل ما يتخاطب به المراهقون ، ولا الوح لك بسخف بمثل ما به يلوحون ، من المكايدة التي تثير الغيرة والحقد الاعمى ، فبعد تجربتي الرائعة بين يديك الحبيبتين ، لن اطمح الى تجربة، وبعد حبنا الذي قتلت القه يد السراب المتراقص كالجن ما بين الصحراء والخليج ، لم يعد معنى لحب اخر ينقذ الانسان من نفسه ، ويجعله يستوي ، كما جعلنا ذات يوم، نستوي في عين أنفسنا بشرا سويا .

ببساطة متناهية أصارحك : احس الان اني قد اضعت كل شيء . واستلهم الله تعالى ان يساعدني على الاحتفاظ بذكراك العاطرة ، لئلا اشوه نفسي ، والقيم الطيبة التي اخذتها عنك ، ان انا احسست بأن لمحة واحدة من لمحات صورتك الرقيقة قد اهتزت في اعماق وجداني.

لقد اعطيتني فوق ما استحق ، وعاقبتني بأقسى مما احتمل . وبعد اليوم ، لن اسألك شيئا ، ولن اطمح منك بشيء .

واتمنى ان تعودي الى نفسك ، وأن تنظري الى ما حولك ، وان تثقي بان مشاغل الدنيا لا ينبغي ان تصرفك عن قلمك الطيب الانفاس ، وان هي صرفتك عن كل شيء عداه .

اتمنى ، ان انا خسرت فيك الحبيبة الرائعة ، الا اخسر والا يخسر القلم الالمعي موهبة واعدة بالحلو المنمنم من الادب المصفى .

واذا كنت اشعر ، منذ اللحظة ، كم ستكون غربتي ثقيلة على نفسي ، فستكون آلامي اشد وأقسى لانك اغتربت عن نفسك كأهون ما يكون الاغتراب .

لعلك اخيرا ، تقبلين اعتذاري ، ان انا جرحت كبرياءك بحقيقة ارفض ان اضعها موضع جدال ، لانها نابعة من قناعة ترضي فكري وتسحق قلبي . فعذرا ، وشكرا ، وتحية .. ارق تحية .

فوزي عطوي

لواعج أم

عودوا الي ، فقد اضناني السهر   وفرحت مقلتي الاحزان والعبر
ارنو الى الحجب الصماء اسالها   وجمرة الوجد في الاحشاء تستعر
اين الاحبة ..؟ اين الصحب كلهم   لم يبق منهم على قيثارنا وتر
اسامر الليل من سهد ومن الم   فهل يطيب لقلبي بعدكم سمر
سرتم..فسار فؤادي في حراستكم   لا الياس ابعده عنكم ولا الضجر
على الدروب بقايا منه قائمة   وبعضها في حنايا الصدر تنتظر
سفحت دمعي في محراب غربتكم   فرق لي الصخر، من بلواي، والحجر
اهفو الى رسمكم والقلب مضطرب   والشوق متقد .. والدمع منهمر
سقيته عبرات لا نفاد لها   كيف السلو ومن اهواهم هجروا
عيني عليكم..وروحي في مشارفكم   يحث جنحي الى مغناكم وطر
عقدت جفني على اطيافكم ابدا   فطاب لي في مراقي طيفكم سهر
تطوف بالشوق في دنياكم كبدي   هيهات لن يستريح الخافق الحسر
حتام احبس اشواقي واكتمها   ما دام يسكن صدري واجف وجر
هاض التذكر والتشواق اجنحتي   فهل يطير لكم من جنحه وبر
واها على صور بالجفن عالقة   هيهات يفلت منك الجفن يا صور
لي في التذكر سلوى لا غناء بها   لا تنتشي العشب ان لم يسقه المطر
اوهى الحنين فؤادي مذ جبهت به   فما لقلبي عن الهجران مصطبر
نشقت طيب عزائي من رسائلكم   فداء عينكم الاطياب والزهر
رسائلي بمداد القلب اكتبها   السطر منها بذوب الروح مستطر
يشفي صبابتكم من عندنا خبر   فهل عساه يداوي جرحنا خبر
ووحده الليل يدري ما اكابده   تغفو جفوني قليلا ، ثم تعتذر
تغزو فراشي - اذا حل الكرى - ابر   فهل يطاق فراش كله ابر
يبكي الفؤاد فلا يدري به احد   ولا ترق له خلق ولا بشر
مشت علي صروف الدهر قاطبة   فبات قلبي في جنبي يحتضر
اسائل الدار عنكم كلما عبرت   آفاق عيشي، دواعي الهم، والفكر
ما عاد يؤنسني من بعدكم قمر   ولا زهور ، ولا ماء ، ولا شجر
حديقة الدار قد غاضت نضارتها   ما عاد يسرح في افنانها نظر
ان الربيع الذي لا عين تنظره   بالوجه يربد من غم ويعتكر
انفقت عمري استجلي مسارحكم   غاض الجمال بها والاخضر النضر
دجت حياتي واعتلت بشاشتها   وبات ينهش قلبي الضعف والخور
امد - ان جاءني ساعي البريد - يدا   عجلى.. فتسبقها الدمعات والعبر
هذي الروابي التي كانت ملاعبكم   شطت باوهادها الاسراب والزمر
ما عاد يسرح فيها بلبل غرد   ولا هزار ، ولا نجم ، ولا قمر
حتى الفراشات ما عادت براقصة   فقد تناهى اليها الحزن والكدر
والنهر كف عن التدويم من شجن   النهر مما دهاه واجم عكر
هنا الربوع تناديكم فوا المي   هيهات يبعدكم عن ربعكم سفر
وقفت فوق ذرى السبعين متعبة   ما عاد يسعفني سمع ولا بصر
لم يبق في اكؤسي الا ثمالتها   غدا تراق ، فلا يبقى لها اثر
امضيت عمري على نار مسعرة   وقد يعود - اذا عدتم - لي العمر

فنزويلا   جورج يوسف شدياق



الدكتور صالح جواد الطعمة

الشاعر المغترب الدكتور صالح جواد الطعمة

بقلم فريال محمد علي السلامي

* * *

تحية اجلال واكبار وشوق واعتزاز من قومك واهلك ومحبيك . وباقة عطرة من الارض العربية تفوح بعطر الوفاء والحنين تنادي ابناءها في كل ارض ، تناديك بملء شوقها وبلهفة الام لابنها .

والدكتور صالح جواد الطعمة شاعر عراقي من رواد الشعر الحر في العراق ، ولد في كربلاء سنة ١٩٢٨ م وهو من اسرة السادة (آل طعمة) احدى البيوتات الشريفة في مدينة كربلاء ينتهي نسبه الى الامام علي بن ابي طالب(ع)

وهو رقيق النفس . متوثب ، مشبوب العاطفة ، نير الفكر ، حالم النظر ، وهو صريح الى ابعد حدود الصراحة ، لا يخشى في الحق لومة لائم .

حياته الادبية

كانت نقطة انطلاقه ، واول عهده بالنشر يوم بعث صالح وهو بثانوية كربلاء الى اللغوي الدكتور مصطفى جواد عن طريق احدى المجلات استفسارا ، فنشرت المجلة استفساره وجواب الدكتور عليه ، وكان هذا الحافز الاول لاستمراره في الكتابة .

لقد تتلمذ صالح على يد المربي الكفء المرحوم الشيخ محمد السراج الاسدي المعروف بـ (ابو خمرة) المتوفى سنة ١٣٦١ هـ في مكتبه المزدحم الصاخب بعشرات الطلاب وكان يشغل الزاوية الشمالية الغربية من الصحن الحسيني الشريف ، ثم التحق بالمدارس الرسمية ، واخذت الاعوام تمضي سراعا ، كأنها سحب الربيع ، واذا بصالح يجتاز مراحله بتفوق منقطع النظير ، حتى انهى الدراسة الاعدادية في فرعها الادبي ، قضى منها شطرا في كربلاء ، والاخر في مدينة العمارة ، وكان في ذكائه ونشاطه وخفة روحه وقابليته الفكرية مثار اعجاب الاساتذة والطلبة والاهل والاقرباء .

دخل دار المعلمين العالية ببغداد (كلية التربية حاليا) وكان في مراحل دراسته (الناجح الاول) ثم هناك عوامل الرغبة والطموح لم تزل متفاعلة في اعماق نفسه وفؤاده تدفعه الى الانطلاقة الكبرى في ابعد آمادها لنيل القدح المعلى والمستوى الارفع . وقد تم له ذلك حيث ذهب في بعثة ثقافية للحكومة العراقية الى الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٥٤ م وحصل على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة هارفرد بولاية ماساتشوستس ، وعاد الى العراق عام ١٩٥٧ م ، وعين استاذا في كلية التربية بجامعة بغداد ، ثم معاونا للعميد لشؤون الطلبة ، وبعد ثورة الرابع عشر من تموز من عام ١٩٥٨ م اختير عضوا في لجنة المناهج والكتب بوزارة التربية ، ثم عين بعد ذلك ملحقا ثقافيا في السفارة العراقية بواشنطن عام ١٩٦١ م ثم التحاقه بجامعة انديانا الاميركية وعين بعد ذلك استاذا في قسم دراسات الشرق الاوسط وادابها . يعمل الان استاذا للغة العربية والادب المقارن في جامعة انديانا . انتدب للعمل في بعض الجامعات المصرية وجامعة الخرطوم والرياض ، وانتخب في نهاية عام ١٩٧٩ رئيسا لرابطة علماء اللغة العربية في امريكا الشمالية اثناء انعقاد المؤتمر الثالث عشر لدراسات الشرق الاوسط الذي عقد في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٩ م في ولاية يوتا الاميركية . اشترك في العديد من المؤتمرات الادبية واللغوية التي عقدت في عدد من البلدان العربية . لقد تغلبت على ادبه نزعة من فن جديد يدعى (الرمزية) ساقه اليها اتصاله

بادباء هذه المدرسة المزعومة ببغداد من جهة وقراءته لجملة من شعراء (السيرياليزم) الفرنسيين امثال فرلين وموسيه وبودلير من جهة اخرى .

مؤلفاته

١ – ظلال الغيوم – ديوان شعر (١٩٥٠) .
٢ – الربيع المحتضر – ديوان شعر (١٩٥٢) .
٣ – ميثاق الوحدة الثقافية وسياسة التضامن العربي بجمهوريتنا (١٩٥٩) .
٤ – ببيلوغرافية الادب العربي المسرحي الحديث ١٩٤٥ – ١٩٦٥ (١٩٦٩) .
٥ – تاريخ الادب العربي الحديث .
٦ – من اغاني الغرب – قصائد مترجمة عن الانكليزية .
٧ – مذاهب الشعر في العصر العباسي .
٨ – صلاح الدين الايوبي في الشعر العربي المعاصر (١٩٧٩) .
٩ – الشعر العربي الحديث مترجما (١٩٨١) .

وله مؤلفات ومقالات عديدة نشرت في امهات المجلات العربية وهي تستهوي القراء وتعالج في جوهرها قضايا الادب المعاصر في البلاد العربية .

شعره

نظرة واحدة الى قصيدة (العائد) نراها تنطوي على معاني رمزية تحدد بعض عناصر نفس الشاعر وافكاره التي يمازجها رهافة الحس وسعة امتداد خيال الشاعر مع غموض يشد القارىء الى عالم صوري تغطي سماءه الغيوم ويصرخ كريح تنحب في جنون .

لا زلت اذكر كيف عاد بي الطريق
قلق الملامح ، واجم اللحظات ، يعبث بي الذهول
وبراعم الاحلام ينثرها على الارض الذبول
وتكاد انفاسي تضيق .

لقد كان لمرض امه اثر واضح في شعره ، فله في قصيدة (انات ام) :

اغربي يا رؤى تكدر صفوي — تنسج الرعب غفلة في منامي
لا يزال الحنان في قلب امي — دفقة من سنى يغل ظلامي

اما الجانب الغزلي فيعكس اخلاق بيئته ، وطهر نفسه ، ففي قوله :

ليس غير العفاف ، من يرقب اللقيا وينهي عن نزوة الشيطان
واماني القلبين بالغد بالنعمى تناى عن عالم الادران

ومن قصيدة (طمأنينة) وهي رد لهدية صاغتها يد حبيبته ، ولكن لم يف حقها من الشكر ، فكانت (الطمأنينة) الصدى :

هدني رعشة تخاف بعينيك ، وبوحي الي ما تضمرينه
قد لمحت الهوى ، على عينك السوداء يزهو فلا تضمي حنينه
انا اهوى الهوى لاروي لحوني لا شفاهي ، وشهوة مجنونه
لا صلاة حمراء ، اهفو اليها او اغني على نهود ضنينه
فاطمئني ، بلا انتظار وبوحي ليس في بوحك الهوى من مشينه
سوف لا تسمعين غير اناشيدي ولا تبصرين ما تحذرينه

اما قصيدة (النهاية) فهي صورة قاتمة ظللها اليأس، مليئة بالمعاناة ، حاكها الشاعر بخيوط التشاؤم ، وفي هذه القصة لا نرى سوى قلب يلتهب ، وبقايا رماد هي نهاية قصة بدايتها اوهام خادعة .

ترى من هي عفراء ؟ تلك التي تغنى بها صالح وهو مكلوم الفؤاد ينوح كحمامة في قلبها سهم العذاب ، يعيش خلالها في واد اظلم . ترى ما قصته مع عفراء ؟ يبدو انه مولع بهواها ، يلومها حينا ويلوم نفسه حينا اخر . يبدو ان اوهامه هي التي خدعته فنسجت قصة حب فاشلة حاكها السراب :

واذا بالظلام يجرح زهو القلب يردي في جانحيه غروره
ويمنيه بالهوى ، بالسنى الخابي فيصبو وقد تناسى شروره
يا لاسطورة الهوى ! كل يوم تنهل الري من دمي اسطوره

الى ان يصل قوله :

فدعيني ، عفراء ، وحدي على القبر تبلل ثراه بقيا دموعي
لا تعودي ، يكفيك ضيعت احلامي ومزقت خافقا في ضلوعي
اتركيني وحدي ، هناك ، اواري امنيات ، جنت عليها خطايا
واساطير عن هوى بين قلبينا تلاشى ، لم تبق منه بقايا
لا تعودي الي ، لا تبعثي الامس ، فتذكي لظى خبا ، من اسايا
اي حب ان تضرمي النار في قلبي وقلبي ما زال يشكو لظايا
مات حبي ! فلست اهوى معادا منك او بعث ميت من منايا

ويقول ايضا :

لست تلقين ما يسرك عفراء ، فلم تسالين : هل من لقاء ؟
فاتركيني وحدي ، يهدهدني الياس لاغفو في مامن من روايه
تلك اوهامي التي خدعتني ، فطوت قصة وكانت نهايه

ومن الشعر الوطني الذي من خلاله يبرز شوق الشاعر للتخلص من القيود والدخلاء ويدعو للنهوض والتحدي بوجه الظلم والطغيان . ويبرز موقع الامة التي ادركت معالم النور وثارت بعد طول ظلمه وهوانه ، وبعد صمت عميق اجتاحت كالرياح كل ما يعوق مسيرتها :

امتي تلك ، ضمها موكب النور افاقت من ظلمة من هوان
كالرياح الهوجاء ، طال بها الصمت ، فثارت تجتاح كل كيان
كالبراكين تدفق النار ، افناء وهيهات ان طغت من امان
كسيول الطوفان ، تقتلع الغرس وتهزا بشامخ البنيان

الى ان يقول :

مولد النور ، في دماء الضحايا في ظلال الاسوار والقضبان
ابدا لن تحول مهما تعالت عن رفيف الاضواء فوق المغاني

كانت تلك شذرات من سيرة الشاعر العراقي الدكتور صالح جواد آل طعمة وشاعريته .

بغداد – جامعة المستنصرية — فريال محمد علي السلامي



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم سيرة ذاتية

بقلم سعيد أبو الحسن

* * *

١٠ ـ يوم تذهل المرضع عن طفلها

وعندما احتل الجيش قرية مثان ، بدات الطائرات تغير على مخيمنا . فنحن ، من المشتى ، كنا نرى تل الهيجاني المرتفع ونرى الخرب الواقعة على امتداد وادي راجل : براق من الشمال (وهي غير براق الواقعة بين حدود الجبل الشمالية ومحافظة دمشق) ـ وام عوينة في الوسط ، وام قصير من الجنوب ، كانت هذه الغارات لا تخيفنا ، فمغارتنا او كهفنا امنع من اي ملجأ في العالم . ولكن لذلك استثناءات ، ففي احدى الغارات كنت مع رفاق لي ، كلهم من عمري او اصغر مني، نحرس الدواب الى الجنوب الشرقي من المخيم ، وكنا لاهين بالعابنا وحركاتنا وغنائنا وصراخنا حينما فوجئنا بطائرتين فوقنا. لم يكن امامنا مجال للتحرك نحو الكهف ، فأوعزت لرفاقي ان ينبطحوا ارضا ، ففعلوا . ولعلي بدات منذ تلك اللحظة امارس بعض اعمال القيادة ـ وفعلت مثلهم ، ولكن وجهي الى فوق ، اتابع حركة الطائرتين . ورايت ـ ويا لهول ما رأيت ـ رايت جسمين ينفصلان عن احدى الطائرتين ويلمعان تحت هذه الشمس الساطعة وفي هذا الجو الازرق الصافي كلمعان الفضة ، واخذا يقتربان من الارض . كان احد الجسمين عموديا فوق مكاننا وكان الاخر ابعد قليلا الى الجنوب . ولا اريد ان يموت رفاقي خوفا فلم اقل لهم شيئا ولكني ، في الاعماق ، صرت ادعو الله ان ينجينا من الهلاك الذي كان يبدو حتميا . ولقد كان فعلا كذلك .. لولا .. لولا ان هذا الجسم قد انفتل قبل ان يصطدم بالارض فسقط على جانبه بدلا من ان يسقط راسيا على كبسولته . وارتطم بالارض لحظة كان الجسم الاخر ينفجر هناك بين مواشينا . اما هذا القريب فقد كان لارتطامه رجة عنيفة وقد نسف علينا من الرمل ما كان كافيا لغمرنا. وكنت اغمض عيني بانتظار النهاية . وما هي الا دقائق حتى كان الرجال قد اسرعوا الى انتشالنا من تحت الرمال، وتهنئتنا بالسلامة . وكانت هناك ـ حيث سقطت القنبلة الاخرى ـ ناقتان قد تحولتا الى اشلاء مبعثرة . وقام الرجال برفع القنبلة من حفرتها ونقلوها الى المخيم : كانت بحجم البرميل ، طولها طول البارودة الالمانية الطويلة (هذا هو المقياس الوحيد الذي كان في متناولنا) ـ وقد فككها رجالنا ، وكانوا قد اعتادوا ذلك من قبل ، وافرغوا من جوفها كمية هائلة من البارود الاصفر ـ وكانوا يمزجونه بانواع اخف منه ويحشون به الفشك الفارغ ليعيدوا استعماله في معارك جديدة ..

وذات يوم ، قرب العصر ، كان الرجال يتطلعون الى الغرب حيث لفت انتباههم غبار كثيف ظهر من سيره ان ما يثيره يسير باتجاه الشرق ، اي نحو المخيم . وخطر ببال رجل ارعن ان يصرخ بأعلى صوته : « الجيش ! الجيش ! اهربن يا نساء » . وكانت ساعة من تلك الساعات التي تحتبس فيها الانفاس ، وتفقد العقول سيطرتها ، ويتكلم العصب ورد الفعل فقط . هرعت النساء مسرعات شرقا، تحمل المرضع طفلها ، وتحمل كل واحدة ما استطاعت ان تتناوله من اشياء ضرورية . ويتسابق الاولاد بينهن ووراءهن وامامهن . وكنت اراقب ما يجري في وعي كامل وبرودة تامة : رايت الرجال يسرعون الى تناول بنادقهم واحزمة فشكهم ويتراكضون غربا لملاقاة « الجيش » . ورايت حادثا لم يفارق ذاكرتي حتى الان : رايت رجلا معروفا بشجاعته الفائقة ، يتناول بندقيته المعلقة بمسمار في عمود الخيمة الخشبي . ولم يستطع ـ لشدة انفعاله ـ ان يرفع سير البندقية (قشاطها) من على المسمار . فانتضى خنجره من محزمه وقطع السير قطعا واخذ بندقيته ولحق بالرجال . ما كنت اتصور ، قبل هذا المشهد ، ان الرجال يفقدون سيطرتهم على اعصابهم الى

هذا الحد .. وبعد فترة تقارب نصف الساعة تكشف الغبار المريب عن عدد من خيول « الشيخ » ـ شيخ قريتنا ـ كانت عائدة من ام عوينة حيث كانوا يوردونها الماء يوميا . وهكذا تبين ان طبقة الشيوخ هي التي تسبب لنا البلاء في السلم والحرب ، في الخطر والامن على السواء . وقام الرجال يلومون الرجل الارعن ويؤنبونه لتسرعه . وركضنا نحو النساء لنعيدهن مع الاطفال . وهناك رايت والدتي حائرة يكاد الدم يتفجر من عروقها . وحينما سألتها عما بها ، انهمرت الدموع من عينيها وهي تجيب : « لقد نسيت أخاك الرضيع « صالح » بالمغارة » . وعدنا مسرعين ، فوجدنا اخي ما يزال نائما لم يدر انه تعرض لخطر الضياع في لحظة خوف طاغ . ولكننا اخبرناه بذلك بعدما كبر .

وبدأت مشكلة التموين تفرض نفسها على مخيمنا : فما استطعنا حمله من زاد اوشك ان ينفد . والموسم القائم ما يزال في بدء نضجه لان حصاد القمح في الجبل يتأخر عنه في الامكنة الاخرى . ومع ذلك فقد قرر احد اخوالي ان يقوم برحلة الى اقرب قرية عامرة على تخوم الصحراء ، وهي قرية خازمة ، ليرى هل نضج القمح ام لم ينضج . وعرضت عليه ان ارافقه ، فرحب بي واردفني وراءه على الفرس ، وسرنا غربا باتجاه « خازمة » . وكانت بندقيته العثمانية الطويلة « المعدل » امامه . وحينما وصلنا قبيل الظهر الى جوار خازمة فاجأتنا طائرة لم نشعر بها الا حين صارت فوقنا تماما . واخذت تطلق علينا النار من مدفعها الرشاش فيقع الرصاص حوالينا ويثير غبارا يعلو حتى مستوى راس الفرس . واراد خالي ان يترجل ويطلق النار على الطائرة . لكن الطائرة كانت قد تجاوزتنا شمالا واخذت توجه نار رشاشها الى حمار شيخ كان على الدرب امامنا . واخذ العجاج الذي تثيره الرصاصات من حوله يغطيه وحماره . ولكنه لم يصب وظلت الطائرة مسرعة باتجاه الشمال لم تستدر . ويظهر ان مهمتها كانت هناك في « ملح » او جوارها واننا كنا بالنسبة اليها هدفا ثانويا عارضا . المهم اننا وصلنا الى الزرع وملأنا الخرج سنابل وعدنا الى مخيمنا .

واخذت الانباء ترد عن قرب زحف الجيش من مثان الى ملح ، بعد ان اتم احتلال القرى المجاورة لمثان وركز مدفعا كبيرا بعيد المدى فوق تل الخضر ، وانه سيقوم بحركة التفاف تمكنه من اخذ مخيمنا بطريقه . وكانت هذه الانباء تثير القلق في النفوس . فالجيش يقدر عدده باثني عشر الفا ، وبامكانه ان ينتشر فيغطي مساحات شاسعة من الارض . ومما كان يؤيد هذه الانباء ان الطائرات صارت تستكشف مواقعنا يوميا ، وعدة مرات في اليوم الواحد .

وفي مساء احد الايام تردد في المخيم نبأ قدوم القائد العام للثورة ، سلطان الاطرش ، الى مخيمنا . ووصل القائد فعلا . وعقد اجتماعا حافلا في اوسع خيمة . وقد حضرت هذا الاجتماع متفرجا . فرايت قائد الثورة من قرب وسمعته يتحدث . ولم اكن قد رايته من قبل الا من مسافة بعيدة او في الصورة . سمعت حديثه فأعجبني القسم الحربي منه ، ولم يعجبني القسم السياسي : ففي القسم الحربي خطط لمعركة الغد ، وكان موجز ما قاله هو : سيتحرك الجيش من مثان الى ملح صباح غد . وسيحاول حتما الالتفاف حول مخيمكم هذا . وقد قررنا اعداد كمين محكم له في سلسلة الخرب المكونة من ام قصير وام عوينة وبراق . سنحتل هذه الاماكن الحصينة قبل الفجر ونبقى فيها حتى تبلغها طلائع الجيش : يمنع احداث اي حركة ، او اشعال نار ، او غير ذلك . نريد ان نفاجيء العدو مفاجأة كاملة . ولن يطلق احد النار قبلي ، ونرجو ان يعيننا الله فنرد الجيش خاسرا ونبعده ـ على الاقل ـ عن العيال .

اما القسم السياسي الذي لم يعجبني فكان حديثه عن ترتيبات ما بعد الاحتلال ، الذي ظهر امرا لا مفر منه . قال ان على جميع الاهالي ان يغادروا الجبل لتبقى الثورة قائمة . اما الذي لم يقل عنه شيئا فهو من اين سيأكل الناس ؟ اين سيقيمون ؟ ماذا سيكون مصير الجبل لو اخلي من السكان وترك للفرنسيين المحتلين ؟ انا الذي راى القافلتين اللتين وصفتهما سابقا ، والذي تعرض مع خاله واخرين لرصاص الطائرات من اجل بضع سنابل ، لا تكفي لغذاء شخص واحد ، انا الفتى القاصر الذي راى والدته تنسى اخاه الطفل في الكهف عندما داهمها الخوف ، لم يعجبني هذا الكلام ، ولم يعجبني بخاصة سكوت الرجال عليه . فمن بين هؤلاء الرجال من باع اخر كيل من الطحين ليشتري هذه الفشكات التي سيطلقها صباح غد في المعركة ، ومن تحمل العرى او الثياب الرثة له ولزوجه واولاده ، وهو يعرف انه لن يستطيع ان يبتعد كيلومترا واحدا من حيث نحن بوسائله الخاصة ، ويعرف اكثر من ذلك ـ ويا للاسف ـ ان احدا لن يمد له يد المعونة ، وانهم اذا مروا به في الطريق ، لن ينقلوه على دوابهم ، ولن يتفضلوا عليه بحفنة من طحين او بدرهم من مال ، ويعرف اكثر واكثر ان لديهم صناديق مقفلة من المال ، وانهم يتلقون الكثير من المال باسم الثورة ، بفضل دماء الشهداء ونضال الاحياء ، ويعرف فوق هذا وذاك ان الكثيرين قادة الامس بداوا يتوافدون على السويداء للتسليم وتسلم الوظائف وتركيز الشؤون الخاصة ، وقبض ثمن الدماء الشعبية المراقة مالا ومنافع وامتيازات اتفقوا عليها بالتفصيل مع عدو الامس ـ صديق اليوم والغد . هذا الانسان ـ في نظري ـ كان يجب ان يحتج على ما قيل ، ويطالب براي اقرب الى الصواب ، او بتقديم الوسائل العينية والمالية اللازمة للهجرة عبر الصحراء ، نحو المجهول . كان عليهم جميعا ان يعرفوا انهم ، اذا بقيت لهم ارضهم ، فلا يعدمون وسيلة لتحريرها عاجلا او آجلا ، اما اذا فقدوها فسوف يصبحون بلا ارض ، ويستبدلون بالارض قضية ميؤوسا منها في مثل

ذلك الزمان ، وفي مثل ذلك المحيط العربي البعيد جدا عن الشعور الوطني الخاص او الوعي القومي العام . طبعا لم افكر ساعتذاك بمثل هذا التحليل المنطقي ولم تكن في ذهني صورة لهذه التعابير التي تعلمتها فيما بعد ، ولكنني رفضت عقلية القطيع التي شهدتها لدى هؤلاء الرجال في اول اجتماع احضره على مثل هذا المستوى . وبعد الغروب حينما كان اخوالي وامي والجميع بالبيت ناقشت خالي الاكبر بالامر ولمت الرجال على سكوتهم . ومما قلت له : « كيف تسكت وانت تعرف أن ما قالـه لم يكن الراي الصواب ، وانكم اعجز من ان تعيشوا بعيدين عن دياركم اسبوعا اخر ؟ فاشتد غضب خالي واخرسني بقوله : « ناقصنا ان يعلمنا الاولاد ما يجب ان نفعل » . فسكت على مضض ولكنني ما زلت حتى اليوم راضيا عن نفسي لانني سجلت اول رفض علني لعقلية القطيع .

اما القسم الحربي الذي اعجبني من حديث القائد ، فقد شهدت نجاحه صباح اليوم التالي : كان الرجال جميعا قد تحركوا ليلا الى المواقع المحددة لهم . وعند الفجر بدات طيارات العدو تمر فوقنا . فعلمنا ان نبأ تحرك الجيش كان صادقا . وعند الشروق ، او بعده قليلا ، بدات المعركة . كنا نسمع بوضوح اصوات البنادق والرشاشات والمدافع . وكان العدو يذكر مخيمنا ببعض القذائف من مدافعه بين الحين والاخر . ولكن رجالنا ردوا الجيش على اعقابه واكرهوه على تبديل خط سيره . لقد كان في طليعة الجيش مفارز من ابناء الجبل ومن الشراكسة ومن الصباحيين المغاربة . وركز رماتنا على خيول هؤلاء جميعا ففرشوا ارض المعركة بجثث العديد من هذه الخيول واجبروا الجيش كله على التحول غربا . لقد كانت معركة بطولية هذه المعركة التي عرفت بمعركة « ام عوينة » .

وقد دامت حتى الظهر تقريبا . ونحن نشهد تحركاتها من بعد لارتفاع موقع مخيمنا وانخفاض موقع المعركة . ولم تخفت اصوات البنادق الا حينما بات الجيش بعيدا عن مداها المجدي ، او حتى عن مداها غير المجدي . وعند العصر عاد رجالنا ينشدون اناشيد الحرب الحماسية ثملين بخمرة الانتصار ، حاملين معهم العديد من البنادق المستولى عليها مع كميات كبيرة من الذخيرة ، التي خلفها الجيش وراءه . وجاء دورنا لنبتهج بالانتصار على طريقتنا: فالفشك الفرنسي يمكن اطلاقه من بندقية فرنسية ، او من بندقية « ام زر » العثمانية القديمة .

فاستعرنا بنادق من هذا النوع او ذاك واخذنا نطلق العيارات النارية في الفضاء . لم نكن نحسب للعواقب حسابا . فما دامت الذخيرة كثيرة فلا بأس في استهلاكها. عقلية القبيلة الخالية من اية مقـدرة على التخطيط او الاحتياط . المهم اننا فرحنا وابتهجنا ولا سيما اننا عرفنا من العائدين ان الخسائر كانت معدومة تقريبا في صفوفنا. فقد استشهد ثائر واحد وجرح اخر مقابل عشرات من القتلى ومئات من الجرحى في صفوف العدو . لقد عد المقاتلون خمسين حصانا في ساحة المعركة . اما القتلى من الرجال فقد نقل العدو جثثهم معه ولكن بقع الدم كانت تدل على ان عددهم كبير جدا .

واحتل الجيش ملح وعرمان في طريقه الى صلخد من حيث انطلق فاكتملت الدائرة . وساق رجالنا الذين انقذوا القرية من الدمار الى صلخد . وسيحدثني والدي عن ذلك عند رجوعنا الى القرية . فلقد قرر رجالنا في المخيم ان يعودوا جميعا الى القرية بعدما ايقنوا انه لم يبق امامهم غير احد احتمالين : العودة الى الديار وترميم ما يمكن ترميمه من شؤون حياتهم ، بانتظار جولة اخرى مع المحتل ـ او الهجرة الى المجهول وترك الديار خالية ، والقضاء على كل امل في التحرر ، خلال الزمن المنظور على الاقل . واختاروا بالاجماع الاحتمال الاول ، ولم ينتظروا هذه المرة راي القائد ، فالقائد الذي لا يقدم الوسيلة للعيش خارج الوطن لا يستطيع ان يلزم الناس بمغادرة الوطن ، فالغاية تستلزم الوسيلة . وهم ـ في الحقيقة ـ لم يختاروا الرفاهية والطمانينة، لان ذلك كان من المستحيلات في وطن مدمر، وفي بيوت خلت من تسعة اعشار محتوياتها. ولكنهم اختاروا احتمال استئناف النضال ، بعد استعادة القوى ، والتقاط الانفاس ، وحشد الطاقات باساليب جديدة .

ووصلنا الى القرية فوجدنا والدي بانتظارنا . ولكم كان فرحنا عظيما عميقا عندما وضعنا ما كان معنا من فراش ومتاع في غرفتنا الغربية فوق (العدسة) ١ ـ الباردة المنعشة . وجلسنا على الارض : فروينا لوالدي ما حدث معنا وسألناه ان يحدثنا بما جرى له ولرفاقه في غيابنا . فحدثنا بكيفية دخول الجيش القرية يتقدمه المتطوعة ، وكيفية نهبهم لجميع المخابىء (الموازع) في القرية ـ الا ما ندر ـ ونهب كل ما كنا نملك من فراش واثاث . وكيف قرىء اسم احدنا على لبادة عجمية حزمها ضابط متطوع من ابناء شهبة وراءه على الحصان ، وكيف ساقوهم الى صلخد باعقاب البنادق وحاولوا اذلالهم ، والحوار الذي دار بينهم وبين الضابط « زهران » او « زهار » اللبناني الذي عاملهم بعنجهية لا توصف . ولما سأله والدي من اين هو اجاب « من دير العمل » وهو يقصد « من دير القمر » فقال له والدي : « لقد نسينا من زمان بعيد كل عصبية طائفية ولكن طريقتك في معاملتنا تدل على انك لم تنس ولا تريد ان تنسى » فتلقى والدي جوابا اخيرا لاختتام الحوار ضربة بعقب البندقية من احد الجنود . (وستتاح لي الفرصة لالقن زهران هذا درسا قاسيا وهو في ذروة مجده العسكري ـ وسيرد تفصيل ذلك في حينه) .

وحماماتي اين هي : لقد اختفت جميعا . وفي الغرفة

أهواكَ

اهواك ..
اوغل في الحنين
يتماوج العشق في شفتي ،
تتهاطل الامطار في زمني
اهوى الليالي الفارغات من الانين
اهـواك
احلم في اللقاء ..
تتماوج الدنيا على عنـقي رداء ،
يا فجر السنابل والنقاء
اني عشقت الله ، في عمري ،
وفي عينيك احببت البقاء !
اهواك
لكنني طفلة بقيت
وحين تأتي
سأختفي من حلم كابوسي
الذي ابدا وعيت !!

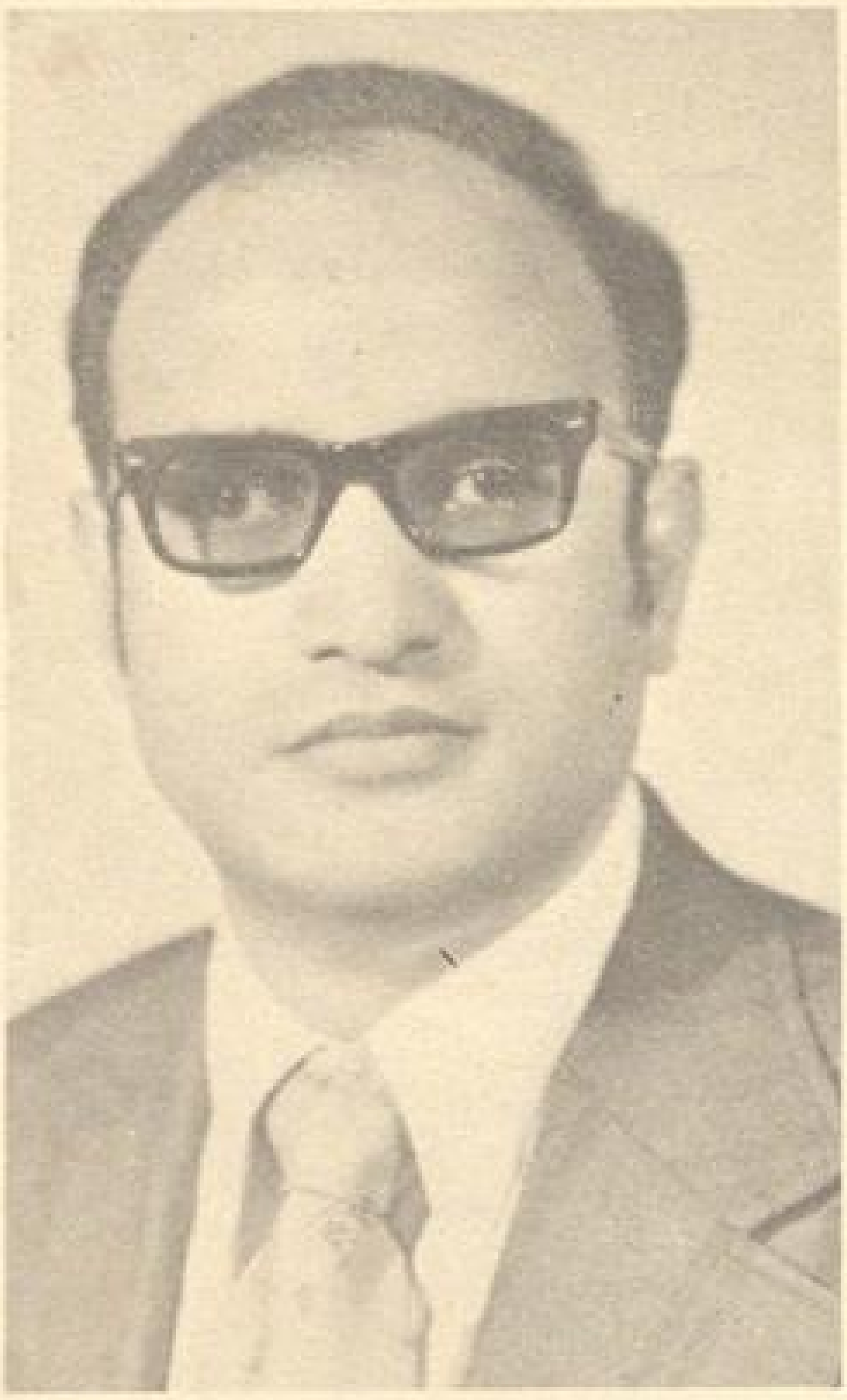
الدار البيضاء ــ المغرب — مي ناصر بدوي

الجنوبية الشرقية من الدار كانت بقايا الرماد تدل على ان نارا عظيمة قد اوقدت هنا من حطب الكرمة (الزبـارة)، شويت عليها حماماتي وكاد لهبهـا الذي اذكاه شحم الحمامات ان يحرق خشب السقف . وكرمنا : لقد سلم. ولكن الجيش وهو مار في الكروم كان يمسك بالداليـة كالحبل حتى يتركها وقد فقدت نسغها ومقومات حياتها . فلا يخلو كرم من آثار الهمجيـة هـذه . ولكي يعيش « ثوارنا » الذين اختاروا الهجرة ، لم يجدوا اقرب متناولا من سلب كل قطعان الماشية التي يملكها اهل الجبل والتي وجدوها مع رعاتها البدو خارج حدود القرى العامـرة وفقدنا بذلك اخر ما كنا نستند اليه في امور معاشنا : مائة وخمسة رؤوس من الغنم كانت تكفي لمعيشة اكبر عائلة ساقها السلابون باسم الثورة وباعوهـا بابخس الاثمان . وامام هذا الانهيار الكامل لثروتنا ، وقف والدي بيننـا يجيل النظر فينا ونحن ثمانية انفس ليس فينا من هـو قادر على العمل ودمعت عيناه وهو يقول : « الحمد لله اذ كانت الخسارة بالمال لا بالعيال . ما كان لدينا وفقدناه كان نتيجة عمل جاد مستمر ، نتيجة كدح دائب ، فرأس المال وهو العمل ، ما زال موجودا ، وما علينا الا ان نبدأ مـن جديد » .

طوال عمري ، لم تفارقني صورته في تلك اللحظة : النسر الجريح ، الانسان الصابر الصامد الانوف المنتصب عملاقا وسط العاصفة ، الفارس المغوار الذي ينهار كل شيء من حوله ، فيبدأ المسيرة من جديد ، من نقطة البداية، هذا ما كانت ترسمه عروق والدي والدم يكاد يخترقهـا ويطفر منها ، واعصابه المتوترة ووجهه المتجهم ــ المبتسم معا . ومن أراد ان يدرك سر حياتي الجادة ، فليبحث عن جذوره ، في تلك الصورة التي ارتسمت لوالدي في تلافيف دماغي ، في تلك اللحظة الرهيبة التي تختصر عمرا كاملا ، بل دهرا كاملا . . .

١ ــ العدسة : ارضية الغرفة المصنوعة من خليطة من الكلس والجص والحصى بحيث تصبح شبيهة بالاسمنت ، وكان ذلك قبل شيوع استعمال الاسمنت .

السويداء ــ سورية — سعيد أبو الحسن



حسني سيد لبيب

الصّدق الفني في الأدب

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

شغلتني منذ عدة سنوات قضيـــة « الصدق الفني » ، فاهتممت بها ، واشرت اليها في بعض مقالاتي . واصـل هذه القضية ان هناك فارقا بين « الصدق » بمعناه المألوف، الذي يندرج تحت لواء الواقعية ، وبين « الصدق الفني » ويشمل في اطاره العام : المعالجة الفنية .

قد يلجأ الاديب الى الواقع يستلهم منه أعمالـــه الادبية ، لكن من الخطأ البالغ اعتبار الصدق الفني منتميا الى الواقية بمعنى المحاكاة للواقع ، اي النقــل الالي او التصوير الفوتوغرافي لمشاهد ولوحات من الواقع . ذلـك ان الاديب حين يلجأ الى الواقع ، فانه يتمثله كأداة فنية ، لكنها ليست كل الفن. وقد يشكل هو الواقع بذوقه الخاص فأحداث الحياة ، في فترة زمنية ، او فترات زمنية متقاربة او متباعدة ، وشخصيات المجتمع ، التاريخية والعامـة ، وتغيرات البيئة .. كل هذا يعد مفردات في يد الاديـب الفنان ، وهي مفردات طيعة تتشكل بين يديه بصورة ازهى فالواقع اداة في يد الاديب الفنان . وحين يعبر عنه يكون تعبيره من خلال نظرته الخاصة او رؤيته الفنيـة ، وهي نظرة ذاتية خاصة به وبفنه .

وقد يلجأ الاديب الى الخيال ، خياله الخاص ، فيبني عوالم اخرى ، ليست من نسيج عالمنا ، مبتعدا عن واقعنا، واحوال معيشتنا . وهو هنا اسير « تصور لعالم جديد » قد يبغي منه البحث عن مثالية لا تتوافر في دنيانا ، فيبثها في عالمه الاثيري ، او الانتصار لفكرته ، ويجد ان خـير وسيلة هو بناء عالم خيالي ، او التنبؤ بعالم الغد ، او تأليف قصة علمية ، او غير ذلك . ويكون مفردات هذا الاديـب خياله الخاص واحلامه ، والبحث عن غد افضل .

وسواء استلهم الاديب مبتدعاته الادبية من واقـع حياتنا ، او من خيال احلامه ، ففي كلتا الحالتين يخضـع لاصول فنية واحدة ، اسميها « الصدق الفني » .

فليس لزاما على الاديب ان يكون صادقا في تصوير واقعنا ، هذا الصدق الشبيه بتدوين الاحداث او تاريخها. ومن اهم مقومات العمل الادبي ان يتضمن رؤية فنية ذاتية تختلف باختلاف الاديب . كما انه لا يهمنا ما هو واقع في الحياة ، بقدر ما يهمنا التعبير عما تحسـه النفوس . والجنوح الى الخيال ليس معيبا ، طالمـا انه سينقل الى المتلقي ، وهو القارىء ، رؤية فنية ذات سمات خاصة .

والاصل في تذوق اي عمل ادبي هو الا يجد القارىء فيه تكلفا او تصنعا . وانما يحب القارىء ان يجد نفسه من خلال قراءته للعمل الادبي سواء كان واقعـا او خيالا . والعمل الادبي في شموله هو همزة الوصـل بين الفنان والمتلقي ، وبقدر ماهية هذا العمل ، تكون العلاقة بـين الاديب وقارئه . وكما ان الاديب يكتب بناء على رغبـة ملحة بداخله ، تعبيرا عن فكرة ما ، وتصويرا لرؤية فنية ، فان القارىء يدعو نفسه الى قراءة العمل الادبي رغبة منه في استكشاف ذاته من خلال ما يقرأ ، او انتقال من عالمه الخاص الى عالم جديد يشوقه التعايش معه . والتذوق الادبي قائم على احساس فطري لدى القارىء بان ما يقراه يتسم بالاصالة والصدق .

واهم ما يحدد هذا الصدق الفني هو عدم التكلـف او احساس القارىء بان هناك صيغة فنية . ولا يتـأتى اليسر والسلاسة لاديب، الا اذا خلصت نيته واخلص لفنه. واخال الاديب وهو يكتب قصيدته او قصته او مقالته ، وكأنه يلتقي بمحبوبته . ذلك ان الادب فن التعبير عن

النفس ، وهذا التعبير في حاجة الى صدق المشاعر والشعور . ومتى توافر ذلك ، ملك الاديب ناصية اللغة ، واسلس له القلم القياد ، فاسترسل يسود الصفحات . واذا ما تعثر اديب ، فمعناه ان ما يريد كتابته ليس حاضرا في ذهنه ، وليس صادقا في نفسه ، وليس نابعا عن حس فني . ولطول تمرس الاديب ، يدرك بحاسته الفنية متى يكتب ، ومتى يضع القلم ، ومتى يمزق ما كتب ، ومتى يرضى عما كتب ، فيقدمه الى القارىء وقد تملكه غرور الفنان ، وهو غرور ساحر ، قد يخفف عنه عناء المعاناة التي كابدها من خلال معايشته للعمل الادبي .

ويتطلب الصدق الفني الانتصار للفكرة ، ذلك ان اي عمل ادبي ، لا بد ان يتضمن فكرة ، وما خلا ذلك يعد لغوا وخواء . وينبغي على الاديب أن يكون مؤمنا بفكرته ، وتكون شغله الشاغل . وما دام الاديب يعبر عن النفس من خلال العمل الادبي ، وهذا العمل قوامه الفكرة ، فلا بد من ايمان الاديب بالفكرة . ودارس الادب ، يقف طويلا ليحدد سمات شخصية الاديب من خلال كتاباته ، التي تعكس مبادئه وافكاره . وحين يكون الحديث عن الصدق الفني ، يكون المعيار هو الفكرة الجيدة ، ولا تساغ الفكرة الا اذا نبعت من نفس الاديب الصافية ، حيث يستطيع الاديب ان يقدم لنا عملا ادبيا يتميز بالصدق الفني ، وما نقول عنه انه ادب خالد .

كما يلزم الصدق الفني الاديب ان يأتي لنا بجديد ، والا يكون نغمة مكرورة لافكار سائدة او شائعة . ونحن نتطلع الى الاديب الذي يضيف الى احاسيسنا شيئا جديدا اما اذا ردد شائع القول ومكرور الحديث، بعد بعدا شاسعا عن الاصالة وعن الصدق الفني . وليس الفن عموما محاكاة لواقعنا او كلامنا ، وانما هو خلق وابداع ورؤية جديدة .

وقد يظهر بعض الكتّاب من زمان لاخر ، الذين يناشدون الاديب التعبير عن المجتمع الجديد وتغيراته ، وكأنهم يلزمونه بتصوير المجتمع ، وكأن الاديب صورة ممسوخة « للمصور الفوتوغرافي » . وفي الستينات اذكر ما نادى به كاتب ، من دعوة الادباء الى ان يستوحوا من السد العالي ، هذا البناء الهندسي الضخم ، اعمالهم الادبية ! واذكر كاتبا اخر دعا الادباء الى الدعوة الى الاشتراكية من خلال كتاباتهم . ونسي هؤلاء الموجهون ان الاديب ليس موظفا في الحكومة قد يؤدي عملا ملزما ، كما انه ليس مصلحا دينيا او اجتماعيا او زعيما ، انما هو بالدرجة الاولى فنان خالق ، ويجدر بنا ان ننظر اليه من هذه الزاوية .

واذا ما الزم الاديب ، او كتب بدافع الحرج او المجاملة ، كان ما يكتبه ـ ما دام لا يستشعر رغبة ملحة نابعة من ذاته ـ مجرد اعمال شائهة ، لا يكتب لها البقاء ، وينفر منها القارىء ويزور عنها ، لانها باتت لصنعة الكلام اقرب ، وكان الامل المرتجي منها ان تكون نابعة من حس مرهف صادق . وتنتفي عنها صفة « الصدق الفني » الذي نقيس به العمل الادبي الجيد .

وفي الادب العربي ، تتفشى ظاهرة «ادب المناسبات» ومثل هذا النوع من الادب اعجز من ان يقف على قدمين . ومن الافات التي بلي بها ادبنا ، طرقه موضوعات الهدف منها مدح شخص او ذم اخر ، او مجاملة وجيه او تملق سلطان . وهي من الافات الموروثة عن العصور القديمة ، وما زالت تتفشى في ادابنا . ويعد القضاء على « ادب المناسبات » ، انتصارا في معركة جوهرية ، حتى ننقي ادبنا من شوائبه ، ويخلص في التعبير عن قضية الانسان ، مجردا من الاهواء والعصبيات .

آن الاوان لاعلان الحرب على ادب المناسبات ، فأغلبه يندرج تحت اسم التملق والنفاق والزلفي ، في عصر نفدت فيه كنوز الذهب والعطايا والهبات . كما اننا لسنا في عصر السلاطين والملوك والامراء ، الذين يطربون لايات المديح وفنون الرياء .

اماانجرافنا مع تيار المناسبات ، فهو خيانة مستمرة لقضية الانسان والانسانية . وقارىء الادب في ايامنا هذه، انسان مثقف ذكي ويملك حساسية فائقة ، فاذا ما شعر ان ما يقراه لاديب ينافق سلطانا او يتملقه، انف من القراءة ، وعزف عنها ، او قرأها متأففا ساخطا ناقما . ومثل هذا الادب بعيد كل البعد عن « الصدق الفني » ، لانه بعيد عن قضية الانسان والانسانية .

فالصدق الفني ، لا يعني نقل الواقع كما هو ، او البعد عن الخيال ، وانما يعني بالدرجة الاولى انتصار الاديب لفكرته ، ويخلص في التعبير عن الانسان وقضيته ، والا يتكلف او يتصنع ، وهذا يتطلب الايمان بالفكرة التي هي قوام العمل الادبي . كما يتطلب الصدق الفني مجانبة تملق الاشخاص ، والمناسبات الطارئة ، الموحية بانفعالات وقتية سرعان ما تزول .

وما دام الاديب دائب التعبير عن الانسان ، ودائم الدفاع عن الانسانية ، فهو ملتحم باصالة الفن ، وبالصدق الفني ، ويكون ما يكتبه جديرا بان يقرا عن حب وتذوق .

القاهرة **حسني سيد لبيب**

مكتبة الاديب



١ ـ معلمة التراث الاردني

تاليف : روكس بن زائد العزيزي ـ الجزء الاول ـ ٥٧٨ صفحة ـ طباعة شركة المطابع النموذجية ـ عمان ١٩٨٢ ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب

الاستاذ روكس بن زائد العزيزي عالم مجمعي وباحث ثبت ، حياته حافلة وغنية بالاهتمامات الفكرية والادبية . عرك الدهر وخبر الحياة، وكرس كل طاقاته الابداعية وحبه للبحث حفظا على تراثنا العربي من النسيان والضياع ، ونذر نفسه في سبيل لغة العرب ، ورفع راية الحضارة العربية . وليس غريبا ان يحلق اليوم في سماء الفكر العربي ويعلو الى مراتب الكمال ، لما اسداه نحو بلاده من خدمات مقدرة محمودة جعلته موضع احترام الباحثين واهل الفضل واكبارهم . وقد برهن طيلة هذه السنين على نشاط منقطع النظير ، اذ اتحف المكتبة العربية بمجموعة قيمة من الكتب اضافة الى مقالاته وبحوثه النافعة التي احتلت المقام المرموق في الصحف والمجلات العربية ، حتى عد في طليعة المجلين في هذه الحلبة ومن اللامعين السباقين في هذا الميدان .

ولقد عانى الكثير من المصاعب وبذل من الجهد الشيء الكثير في تسجيل المصطلحات واللهجات والامثال وتدوين ما اختزن في الذاكرة من علم ومعرفة طوال سنين ، والاحاطة الشاملة بشؤون تلك الامثال والوقوف على جذورها وليس من ريب ان التتبع لتعقيب تلك الامثال يتطلب الجهد والدراسة والخبرة ، اذ لم يكن عمله الفردي هذا بالامر الهين . مع كل ذلك فقد انفق الباحث الجليل العزيزي من وقته ، وتصدى الى تدوين العادات واللهجات والاوابد الموجودة في الاردن ، فدرسها دراسة مجدية لا يستغني عنها كل باحث ، وقد كتبها بدافع من شعوره الوطني والقومي وضمها الى كتاب اصدره في ثلاثة اجزاء باسم (قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية) وقد جاء تمهيدا لمعلمة التراث الاردني الذي نحن بصدد الحديث عنه . وهذه المعلمة مؤلفة من خمسة اجزاء هي :

١ ـ قسم الامثال والحكم .
٢ ـ قسم الاسمار والحكايات .
٣ ـ قسم العادات والتقاليد والاعتقادات .
٤ ـ الشعر وتطوره واثره في القبائل .
٥ ـ اللغة والقواعد عندهم ومحاولة رد الالفاظ .

ان هذا الجزء الاول اقتصر على الامثال والحكم والاقوال المأثورة، قسمه حسب حروف المعجم ، وشرح لتلك الامثال شرحا مبسطا تميز بالدقة والموضوعية الجادة . وهذه الامثال تعطي فكرة واضحة عن مختلف مناحي الحياة الاردنية . ومن جملة ما دفع بالاستاذ روكس العزيزي الى اصدار هذا الكتاب هو ذوقه الرفيع واطلاعه الواسع على التراث ، حيث يرى ان هناك روائع الامثال استطاع ان يبذل في جمعها ميدانيا من افواه المعمرين جهدا لا يتوفر لغيره من الباحثين ، وقد جاءت اقرب الى الواقع والحقيقة .

وما من شك ان هذه المعلمة هي صورة للمجتمع الذي يعيش فيه، وانعكاس لواقعه. وقد اخرج الكتاب اخراجا انيقا يليق بالموضوع والمؤلف من حيث غزارة المادة واهميتها من الناحية الاجتماعية والتاريخية والفولكلورية . ولا يسعني اخيرا الا ان اتقدم بوافر الامتنان والشكر العميق الى الباحث الجليل الاستاذ روكس العزيزي على تفضله باهدائه الي هذا السفر القيم، راجيا له اطراد التوفيق والنجاح والسؤدد في مسعاه .

٢ ـ شوق وذكرى

شعر : الدكتور حسين مجيب المصري ـ ٢٧٠ صفحة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨١ م

لقد وافاني بالبريد ديوان جديد هو الديوان الحادي عشر للشاعر الدكتور حسين مجيب المصري الموسوم بـ (شوق وذكرى) قامت بنشره مشكورة مكتبة الانجلو المصرية . وهو يضم ٣٨ قصيدة عمودية موزعة بين الوجدان والوصف والشكوى من الزمان وذكرى بعض الشخصيات الاسلامية من امثال محمد اقبال وجمال الدين الافغاني ومحمد عاكف، وحمله جناح الشوق الى مواطن الضاد والاسلام الى لاهور وطهران واستانبول وبغداد لتسجيل ذكرياته وشذراته التي شحن بها ديوانه ، فعبر عن تجاربه الروحية بكلمات بسيطة صادقة . ولعل من المفيد هنا ان نشير الى ان الشاعر استعمل الرمزية في شعره ، فهو يصرح بقوله في مقدمة الديوان : (وكنت الشاعر الغنائي الحق الذي يشاهد نفسه في كل ما حوله ، ويعبر عن تجاربه الروحية حقيقية كانت ام خيالية وانغامه هي آلامه وشكواه من الزمان واهله تطول وتطول . وهنا تتجلى الرمزية في شعره كاوضح ما يكون لانه يتمثل على الدوام حبيبا جفاه وتخون عهده وتناسى وده ، فلا تنقضي منه حسرة ولا جزع ، وما حبيبه هذا الا دنياه التي ظلمته واحزنته ، فما تجاوز الحقيقة في شيء بمثل هذا الرمز والايماء . كل ذلك التلميح ادق واصدق من التصريح) .

تأثر الشاعر في شعره بشعر الفرس والترك في صوره البيانية والرمزية والصوفية كما اوضح ذلك على غلاف هذه المجموعة .

لقد شدتني براعة الشاعر وسحر قوله الى عوالم جميلة ساحرة ورحت اتطلع بشوق ولهفة لقراءة قصائده وتلاوتها اكثر من مرة .

ومن خلال قراءتي للمجموعة عرفت الشاعر مرهف الاحساس ، صادق العاطفة ، محلق الخيال ، فما احسن قوله في قصيدة (فراق) :

ما الذي في الربيع اذبل زهري ... ما الذي في الغصون اسكت طيري ؟
كفن للرماد يحزن نفسي ... ما لهذا الرماد يخمد جمري
ويد للزمان تصدع كاسي ... وانا الشهد كنت ارشف خمري
اي ليل كمثل ظلمة رمسي ... قد اتاني فاظلم اليوم فجري

وقصيدته (الى صديق) يبدو فيها موزع الفكر ، مضطرب النفس ، فهو يقول :

لي فؤاد اليك بالشوق يهفو ... توام النفس ، انت بالروح تسمو
وردة كنت رقة وابتساما ... بلبلا قد جعلتني لك اشدو
شمعة صرت وهي تمحو ظلاما ... او ليس الفرات للشمع يصبو
لك كف علقتها بذراعي ... اذ تراني على الاسنة اخطو
لي رفقت في محنتي والتياعي ... وحنوت ومن كمثلك يحنو

وما اروع قوله في قصيدة (في المرآة) التي تزخر بحرارة دافقة وتنساب في نغم مهموس :

مشطت شعرهـا ففاح العبير ... ونملـت بغير كأس تـدور
ورايت الربيـع يبسم فجرا ... عـن زهـور انفاسهـن عطور
وعلى الغصـن انطق الوجد طيرا ... مـا احتوتـه مع الاليـف وكور
فاذا بالفـؤاد يضرم جمـرا ... هـو جمـر قـد اضرمته الثغور

وينتقل بنا الشاعر ليناجي اقبال في ذكراه بهذا النغم المنساب :

حياتـك تلـك يا اقبـال ذكرى ... تخلـد في الورى دهـرا فدهـرا
ينضرهـا الزمـان بكـل عـام ... ربيعـا نضر البستـان زهـرا
لئن خفيـت بقلب في ظـلام ... لقد ظهـرت وراء الليل فجـرا

ثم يحيي مصلح الشرق جمال الدين الافغاني بقصيدة جاء فيها :

دعـاة مـن نحييهـم ... بذكـرى نحـن نحييهم
نـاؤا بالمـوت اعواما ... ومنـا المـوت يدنيهم
ويفنـي الدهـر اقواما ... ولكـن ليـس يفنيهـم
خلـود كـان اوهامـا ... ويبـدو مشرقـا فيهم
لهـم دنيـا بدنيانـا ... وكالفـردوس تؤويهـم

وفي قصيدة (لاهور) عصارة الم وشوق ، وصور مشرقة استهلها بهذا المقطع التصويري الرائع :

عليـك القلب يا لاهـور حامـا ... ومـر الدهـر بعـد العـام عاما
اليك الشوق يهفـو ثم يهفـو ... ويفني بالعـذاب المستهامـا
ومنك الخفـق يدنـو بي ويدنو ... فكنـت الطير مـا بلغ الغمامـا
وطيفـا كم رايتـك في منـامي ... وشمس الصبح شردت المنامـا

اما قصيدة (بغداد) ففيها عرض رائع التصوير ، ينحـدر في موسيقى شجية الرنين :

بغـداد يا بلـد الحبيب النائي ... يـا واحـة خضراء في صحـراء
اني قدمتـك بعـد طـول تشوق ... ولقيت احـلامي وانـت ازائي
ورشفـت منك الري بعـد تحرق ... فشفيـت مـن ظمئي ومن برحائي
شاهدت دجلة وهي سمرة وجنة ... فيهـا النضـار وموجـة اللألاء

والقصائد بمجموعها اصداء لانغام متماوجة فيها الشعر الانساني المعبر عن المشاعر والعواطف فيها وثبات خيالية محلقة ورومانتيكية حالمة .

انني اذ اهنىء الشاعر بحرارة وعمق على اثراء المكتبة العربيـة بهذا الاثر النفيس ، ارجو له دوام التوفيق في اعماله الادبية اللاحقة.

كربلاء ـ العراق — سلمان هادي آل طعمه

★ ★ ★

حلم الامس الكئيب

مجموعة قصصية تاليف شوقي وافي

العبرة في مقاييس النقد تكون بمقدار نجاح الفنان في التعبير عـن رؤيته. فالاديب شوقي وافي اتخذ من المعركة مع اليهود مناخا فنيا ، وليست المعركة بمعناها السطحي . لكن معركة الازمات تشمل مجموعة حلم الامس الكئيب وحدة عضوية واحدة . ذلك ان قصصها الست تـدور في زمان ومكان محددين . تتميز قصص المجموعة بتعبير صادق وصفاء نادر في ابراز الفكرة وفي تكوين الصورة الفنية . لقد لجا الكاتب الى الرمز لانه يدرك تماما ان الرمز لغة الارشاد والايحاء . وقد وقف شوقي وافي من احداثه موقف العنكبوت الراصد ، الساكن وسط خيوطـه فلم يتدخل . ترك شخوصه تتحرك بحرية ، فبدت حية واضحة .

وتضم مجموعة حلم الامس الكئيب ست قصص قصيرة يربطهـا خيط واحد .. هو دخان انفجارات المعركة . ترتبط كل قصة بحدثين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ . ومعظم هذه القصص استعمل فيها ضمير الراوي .. انا .. ولعل وافي اتخذ المعركة زمنا ومكانا لقصصه لانه كان احد الذين عاشوا حرب ١٩٧٣ . ولذلك جاءت القصص تنبض بالصدق ، والنضج، والاصالـة .

عائد من الميدان : اقصوصة من الادب المتفائل تصلح لان تكون رواية .. حطام شاب عائد من الميدان . اعمى . كسيح . اكتع . يتعاطف معه اهل الحارة .. تبرعوا له بعيون . ايدي . سيقان ، لكنه رفض في اباء وشمم . قال انه فقد ما فقد من اجل غاية عليا ولا يبغي من وراء ذلك اجرا .

والنهاية رائعة رغم المحنة . كان البطل اكبر منها .. احسست بسعادة غامرة .. حنيت رأسي ليلامس خدي شعرها . ولكي لا يصطدم بالسقـف .

الكمين : قصة رمزية .. وحش كبير على مشارف التبة يمنـع تقـدم القـوات .

ففي هذه القصة نرى طموح الذين قاموا بالمهمـة وغرورهم .. ورغبتهم في تحقيق نصر شخصي . فهناك :

اوديب : ذلك الطاووس المختال الذي انطلق دون ادنى خطة .. فلقي حتفـه .

شمشون : مغترا ايضا بقوته .. فيكون مصيره الهلاك .. ايضا .

عنترة : الذي يحقق الانتصار .

واختيار شوقي وافي لاسم عنترة انما ياتي ليعيد الى اذهاننا قصة ذلك الفارس العربي الاصيل الذي عشقه الناس على ممر الايـام واكبروا فيه شجاعته وارتباط اسمه بالنصر وسحق الاعداء .. واخيرا ياتي عبلة التي يقصد بها مصر العزيزة علينا جميعا فتجني ثمار ذلـك الانتصار .

اختراق : استعمل الكاتب في هذه القصة تكنيكا جديدا غير الذي استخدمه في القصتين السابقتين ..

فيطالعك بسؤال .. ماذا يحدث الان ؟ ثم يربط الحوار بحربي ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ .

ـ تعال معنا
ـ سأموت هنا
ـ ستقع اسيرا كما وقعنا ٦٧ ص ٨
ـ الطلقة الاخيرة من نصيبي
ـ الموت خير من السكوت ص ١٠

هذه القصة متعددة المزايا فهي تقدم الينا بطريـق غير مباشر استبسال ابناء الابناء .. ابناء مصر .. دلتاها وصعيدها .. لتحقيق النصر الغالي علينا جميعا .. ومن خلال حوار الشخوص نتعرف على مواطنهم .. فعبد العاطي يسمي قذائف المدفعية « ابو جاموس » ، واحمد الصعيدي يسميها « ابو جفة » لان القذائف التي تقذفها المدافع تنهمر بشـدة .

ولا شك ان هذه معالجة فنية طريفة من الكاتب الحاذق .

وتطول المعركة فينقضي الليل وتطلع الشمس والاشتباكات مستمرة .. ويعطينا شوقي وافي صورة صادقة عن العدو .. فرغم خسائـره الجسيمة .. تنهال عليه الامدادات بلا توقف .. ومع هذا فالبطولات من الجانب المصري بلا حدود .. ويستشهد النقيب عياد القائد .. وهنا اشارة الى قمة العطاء والتضحية .. فالقائد لم يكن يلقي بالاوامر من داخل حصن او خندق .. بل هو دائما في الطليعة .. واستشهاده لم يفت في عضد الجنود . فيواصلون مهمتهم مستميتين لتحقيق الاختراق المنشود .. وتسقط دبابات العدو .. واحدة بعد الاخرى .. حتى ياتي الطيران المصري ليكمل باقي المهمة .

اللغم يرقد فوق فراش من حرير : احسن قصص المجموعـة .. لماذا لم يجعلها الكاتب تحمل اسم مجموعته ؟ ظهر في هذه القصة المعادل

الموضوعي .. اللغم الراقد فوق السرير وعينا المدير المفرمتان بالساق البيضاء ص ١١ و.. زواج قاسم وسميرة. في نشوة يرفع عبد المعطي اللغم الى اعلى ص ١٢ .

واذا كانت البداية في هذه القصة موفقة .. وجود الاشياء المعبرة واللغم ... فان النهاية رائعة .. حيث انتهت بالفضيحة .

ولقد وظف شوقي وافي الكلمة .. حين راينا الدبابات تمر في امن وسلام .. مات الخوف .

ان المقاتل المصري او الانسان المصري على الاطلاق .. سواء المحارب في الميدان او الموظف الذي يعمل في احدى المؤسسات .. يحاول كلاهما انتزاع النصر ، والقيام بواجبه على الوجه الاكمل .. غير ان هناك فئة غارقة في ملذاتها .. تطارد النساء .. لتحصل على متعة رخيصة مسروقة .

وبينما يسعى المقاتل الصادق زاحفا نحو اللغم الشرس القاتل .. ليطهر ارض المعركة ويفسح طريقا لمرور الدبابات ، نرى مدير المؤسسة الذي يمثل الصنف الثاني المنحرف يزحف نحو لغم من نوع اخر فوق فراش من حرير ليظفر بشهوة رخيصة .. وبعد ذلك يمنح الترقية لمن لا يستحق .. فمن البطل الذي يستحق الاعجاب .. الترقية ..؟

حلم الامس الكئيب : تتناول هذه القصة قضية عزل الواقفين الى جانب الحق ومؤيديه .. رواها الكاتب في قالب مؤامرة .. فزملاء المدافع عن الحق لا يفهمون حقيقة ما يدبر لهم في الخفاء . فاذا بهم ينهالون على نصيرهم ضربا وركلا بلا رحمة .. لقد وقعـوا في الشرك المنصوب لهم .. وابتلعوا الطعم والشص .. ولم يفكر عاقل واحـد بروية وتؤدة ..

ولم يستخدم شوقي وافي في هذه القصة اسماء لشخوصه .. الا اسم سوسن .

ترى بعد هذا هل يفيق الناس من ذلك الكابوس المزعج الجاثم فوق الصدور .. فيصبح هذا الحدث المؤسف هو حلم الامس الكئيب الذي لن يتكرر .. ولن يعود ؟

القربان : وتمثل مرحلة من التردد والشك والحيرة في اختيـار القربان الذي سيقدم الى الاله .. والذي يتمثل في شخص فتـاة حلوة عمرها الف عام .

ويستعرض البطل حياته .. فمنذ زمن بعيد وقع في هوى فتـاة حلوة ظن انها القربان .. وتابع سيره معها .. لكن الجميلة تعبت وودت ان تستريح .. والبطل يريد ان يواصل السير رغم كل المغريـات .. .. ويزداد احساسه بالامل .. وترتفع لديه ذروة الشك في المستقبل. لكن رجلا طيبا . املا مشرقا يبدد قيظ الطريق الشاق ويذيب حرارته .. وتكتمل الخبرة .. ويصبح البطل الشاب قادرا على التمييز .. فيقتحم السور الصلد .. ويحطمه .

كان شوقي وافي موفقا في اختيار الفاظه ولغته .. فاللغة سـلاح الاديب الاوحد .. وقد احسن الكاتب استخدام هذا السلاح .. فاسلوبه شاعري مكثف . كل كلمة تقودنا الى جملة تحمـل المعنى المقصود . فخرجت الكلمات هادئة لكنها تفجر في الاعماق تساؤلات .. وتساؤلات .

ولقد عاش شوقي وافي معركة ٧٣ .. لهذا نجد الايقاع السريـع المنتظم الحركة .. وتكاد تسمع طلقات المدافع وهدير الدبابات وازيز الطائرات .

وان سطوري القليلة هذه لا تغني اطلاقـا عن قراءة حلم الامس الكئيب والتمتع بما فيها .

القاهرة — عبد العزيز الشناوي

شجر الدفلي على النهر يغني

شعر حيدر محمود ــ ١٢٨ صفحة ــ حجم كبير

يقف الشاعر حيدر محمود في طليعة شعراء الصوت الثاني للحركة الشعرية في الاردن .. ونقصد بالصوت الثاني .. الشعراء الذين يقفون على نقطة التقاطع بين المدرستين التقليدية والحديثة في الشعر .

فقد عرفنا حيدر ينظم الشعر في مطلع الستينـات على اوزان الخليل .. ثم تطور فيما بعد ونظم الشعر على الطريقة الجديدة التي لا تابه بالشكل بقدر ما تهتم بالمضمون . ولعل ديوانه الاول (يمر هـذا الليل) الذي صدر عام ١٩٦٩ وديوانه الثاني (اعتذار عن خلل طارىء) والذي صدر بعد عشرة اعوام من صدور الديوان الاول اي عام ١٩٧٩ ، هما خير شاهدين على ما اقول .

وحيدر محمود .. شاعر الواقعية يعيش بها ومعها ويعمقها حتى تنفذ الى عالم الحقيقة والشجاعة . وفي محاصرته للواقع الذي نعيش يحاول صنع اطلالة الفجر بارادة وعزيمة ومضاء .

اما ديوانه الذي نحن بصدده والذي يقع في مائة وثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير ويحتوي على ثمان وثلاثين قصيدة ، فانه يجمع بين التقليد بالشعر ويضم (الله في قلبي) و (اغنية لعمان) و (اغنية حب الارض) و (موال الى بسام الشكعة) ، ويجمع الصوت الحديث في الشعر ويتضمن بقية قصائد الديوان ومجموعها اربع وثلاثون قصيدة.

شجر الدفلي على النهر يغني

باسمه

والنشامى الاردنيون حواليه

ولكم هزتني حرارتها .. الحب اللاصق للدفلي والنشامى ولكم اتمنى ان يظل شجر الدفلى له سمار .. وله عشاق يجالسونه .. له زهر وله ورق يفوح منهما الاريج العطر .. المضمخ العبق .. وكم اتمنى ان يبقى النشامى في رفعة الجباه .. وعلو الهمة .. وغابة الفداء .. لكم اعجبني تجسيد الشاعر للواقعية والاحياء حوله ، ويقول عنهم :

على عيون النشامى يسهر القمر
فالليل بالحدقات السود مؤتزر
وللحمى راية مرفوعة ابـدا
يحوطها العز والايمان والظفر

والارض الغالية ، لها نصيب في ديوان (شجر الدفلى على النهر يغني) . انها المراة الصادقة التي تعكس لنا وجه شاعرنا ابدا ، اذ يقول:

يا بلاد الشيح والدحنون والحناء دومي
خيمة للطل والظل ودارا للكـروم
واكتبي بالسيف والفاس على خد النجوم
ان ابناءك مزروعون في الارض نشامى

يعشقون الود لكن .. يعشقون الارض اكثر

والاردن .. فان شاعرنا يعشقه ويتعشقه دوما . اسمعه يقـول في قصيدة (ترويدة الاحرار) :

يحملك النهار في عينيه راية انتصار
يحملك الفخار ..
حكايـة على فـم السنابـل
وفي ضمائر السيوف والجداول يحملك الجنود
وشما على الزنـاد
يا وطنـا يسكن قلب الورد والبارود

وفي قصيدة (السيف والهوية) يطل علينا الاستاذ حيدر من عالم الغربة يرسل آهاته من هناك الى وطنه هنا :

اتمنى اللحظة لو تصبح اهدابي جسرا

يحملني نحوك يرميني في شباكك اغنية
لو تخطف (طائرتي الورقية) قلبي
لاقدمه في عيدك يا عمان هدية
اتمنى لو القاك الان ...
وانت تقيمين على مد الساحات الافراح الشعبية
فانا ولد الافراح الشعبية

وفي نبل الاخوة والصداقة والوفاء نرى شاعرنا يسوق الى روح عبده موسى مرثية :

لعلها الوحيدة التي بكت عليه
هذه الربابة العتيقه
لعلها الوحيدة الصديقه
وخيمة انتظاره الطويل
ومات في سبيلها فهو شهيد اثنين :
(حبه .. وجوعه النبيل)
يا جو عانت قاطع الطريق
انت قاتل الانامل الرشيقه

وفيها يعيب على بعض اخلاقيات مجتمعنا :

لو ان واحدا من الحيتان مات
حدت الحيتان كلها عليه
وسار من وراء نعشه المنافقون
بوسوا خديه
وحنطوا في متحف الرضى قميصه .. وحنطوا نعليه .
لكنه يا موت عارنا من اول الخليقه
فاين اين تسكن الحقيقه
وفلسطين الجريح .. كيف كانت النكبة ؟

يرسم شاعرنا بريشته .. يقول :

احبائي رفاق الليل .. والغربه
اقول لكم لماذا كانت النكبه
لانا .. حين نزرع الزيتون ..
كنا نجهل التربه ..
ولا نهتم ان اعطت ..
ان لم تعط ...
نترك امرنا لله ...
يحرثها ويسقيها ...
وينفخ روحه فيها ...
ونحن على سطوح الحلم
كنا نشهد الفصل .. الكوميديا

كانت كلمات الشاعر حيدر محمود في (شجر الدفلي على النهر يغني) رشيقة واحرفه انيقة رقيقة .. وموسيقاه حية معبرة .. فلقد اطاعته ادوات الشعر فاقبلت عليه لينة وكانت بين يديه طيعة ..

عمان – الاردن　　　　محمد ابو صوفه

★ ★ ★

ثلاثة وجوه على حوائط المدينة

شعر : حسين علي محمد – ٤٦ صفحة – كتابات الغد – القاهرة

الشاعر حسين علي محمد واحد من الشعراء الشبان الذين يمكن ان نطلق عليهم جيل السبعينات ، والذين تتسم حركتهم الشعرية بالثورة على كل ما هو كلاسيكي ومتعارف عليه ، وهم يتخذون من ماساة الانسان المعاصر الركيزة الاساسية التي تنطلق منها ابداعاتهم الفنية . هذا الانسان المحبط المتخبط في شباك همومه الذاتية ، والضائع ازاء تلقيه السلبي لضربات الوجود ، والمنسحق امام عجزه الدائم عن الثورة على كل ما هو عقيم وسلبي ، والمحبط دائما امام ضربات القدر الاعمى لكل آماله وامانيه .

وفي مواجهة هذه الماساة التي يعيشها الانسان المعاصر يلجأ الشعراء الشبان الى انتاجهم الابداعي المتميز حيث يقومون من خلال هذا الانتاج بمحاولة خلق احتمالات لعالم اقل ازعاجا . عالم انساني ترتسم عليه شارات الامل عالم لا يستهدف اشاعة الياس في نفس المتلقي بقدر ما يستهدف تفجير الطاقات الخلاقة والاكثر وعيا لطبيعة حرية الانسان المعاصر .

ان الشاعر حسين علي محمد شاعر حالم ، ينطوي شعره على امل تحقيق ما ينبغي ان يكون من خلال امكانية ما هو كائن بالفعل .

يقول الشاعر في قصيدة « فرار » :

جاء الصبح
ولم تشرق فينا الشمس
وتركت شرفتها للريح وللظلمة
فاعادت للقلب الجرح
انظر فاتنتي مفتمة ..
تهرب من صخب اليوم وتستلقي في مملكة الامس
تحلم فاتنتي الفجرية
بالطرق الامنة الرحبة
لكن الظلمة تقهرها

ان هذه الصور المركزة مليئة بالايحاءات والرموز ، فالشاعر هنا يشعرنا بمرارة التجربة الشعرية جاء الصبح – ولم تشرق فينا الشمس، فلماذا لم تشرق فينا الشمس ؟ هل العيب في الشمس ام ان العيب في داخلنا نحن ؟ ولماذا كل هذه المفردات القاتمة الحزينة ؟ الريح ، الظلمة ، الجرح ، الشمس التي لم تشرق ، الفاتنة المفتمة ، والهرب من صخب الايام .

ان هذه المفردات التي تنضح بالمرارة ، وتجلدنا كالسياط ، وتثير في ابداننا القشعريرة ، وفي نفوسنا الكآبة والحزن لم تصل بنا رغم قسوتها الى حد الياس . فالشاعر ما يزال يبحث لنا وله عن طريق للخلاص :

تبحث فاتنتي ثانية عن بقعة ضوء
ابصرها ، ذاهلة ، تعطي سافيها للريح
وهي الثابتة الصلبه
وتحملق في اللاشيء
وتولول فزعا ، وتصيح
باحثة عن طرق الاوبه

وفي قصيدة (ثلاثة وجوه على حوائط المدينة) والتي تعد من اود قصائد الديوان يكشف لنا الشاعر عن الشعارات المزيفة والسلبية المطلقة التي يحتمي بها بعض المثقفين الجبناء ، والذين يبيعون ضمائرهم في سوق النخاسة :

الوجه الاول – وسط ظلام المحنه
رفع السيف – القش على الراس واغفى
وا ستلقى في مملكة الصمت ولم ينطق حرفا
وضع على الوجه تعابير الحكمة والفطنه

ان هذا الفارس المزيف الذي عراه الشاعر لنا ، والذي يرفع فو قراسه سيفا من القش يرمز الى سلبية المثقفين الذين يخافون

التحدي ويستلقون في مملكة الصمت لانهم لا يجرؤون على المواجهة :

الوجه الثاني رفع الكف المغموسة بدماء الاطفال
وضمخ اوجهنا بالعطر .. وقال :
اليوم اغني ..
وغنى للساحات الرحبة
والراقصة الفجرية
والمطرب ذي الصوت الفظ
وكلاب السادة
والقصر العالي ذي الدرجات الالف

ان هذا الفارس هو اسوأ من قرينه الاول ، فاذا كان الفارس الاول قد لاذ بالصمت ، واحتمى بالسلبية ، فان الفارس الثاني لم يكتف بهذا ، بل راح يتغنى بكل ما هو قبيح وعقيم . انه ليس فنانا بل هو بوق نحاس اجوف نسمعه يغني لكلاب السادة ، ويغني للراقصة الفجرية ، ويغني للقصر العالي ذي الدرجات الالف . ان هذا الفارس المزيف يذكرني بقصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي (ابو زيد السروجي) من ديوان (كلمات لا تموت) التي يقول فيها :

كان يغني
عندما اغار هولاكو على بغداد
واستسلمت (طرواد)
وعلقت في قلب (مدريد) وفي ابوابها الاعواد

فهذا المغني الذي نسمع غناءه حين يغير هولاكو على بغداد ، وحين تستسلم طروادة ، وحين تعلق المشانق في مدريد ، هذا المغني الذي يبيع شعره ويبيع ضميره كلما سمعت اذناه رنين الذهب ، هذا (الفنان) هو نفس (الفنان) الذي عبر عنه الشاعر حسين علي محمد في المقطع الثاني من قصيدته (ثلاثة وجوه على حوائط المدينة) .

اما الفارس الثالث فهو لم يسلك طريق السلبية واللامبالاة كما فعل الفارس الاول ، ولم يغن لكل ما هو قبيح وعقيم كما فعل الفارس الثاني .

في اليوم التالي
كانت صحف القطر تبارك هذا المشوار
من اجل مسيرة كل الاحرار الشرفاء
كان الوجه الثالث بين الوجهين الالفين
مبتهجا بعجائب هذا الزمن الدوار
ولقاء الثوار

الفارس الثالث اذن شاعر ثائر لا يكتفي بالغناء للثورة ولكنه يلتقي بالثوار فهو واحد منهم يسير على دربهم ، وهو يلجأ الى فنه كي يفجر التصادم بين احلامه الثائرة المتمردة وبين رتابة العالم القائم .

يقول الشاعر في قصيدة (عودة الوجه الغائب) :

اراك مع الظهر واحة ظل
فارحل عبر التخوم حمامه
وانشد في حبك الاغنية
واركب مهرك رغم الملامه
واصرخ في الاهل والاصدقاء : افيقوا
فمهرة هذا الصباح
تحب السباق
وتركض نحو غدي الامل
وتكره هذا الغثاء المباح .

مصطفى نجا — السويس — مصر